

روايات مصرية للجيب



١٥

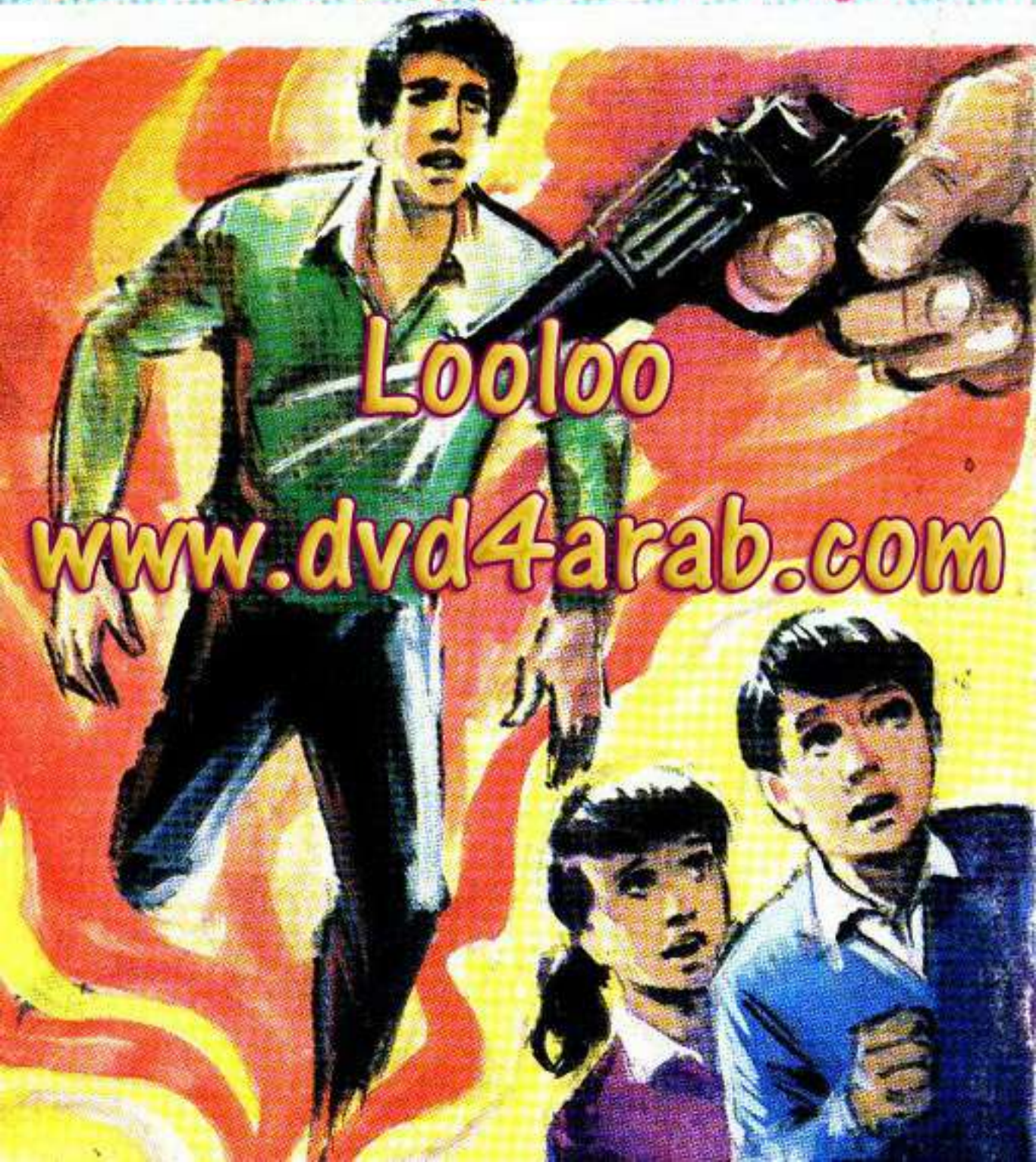
٢ × ٤

قضية الحريق الغامض

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناسين

Looloo

www.dvd4arab.com



١ — نيران في الفجر ..

ارتفع صوت الأبواق المميّزة لسيارات إطفاء الحرائق ، وهي تشق طريقها عبر شوارع القاهرة المزدهمة ، حتى توقفت أمام مخازن شركة النيل للمنسوجات ، حيث ارتفعت ألسنة اللهب ، وقفز رجال الإطفاء من سياراتهم ، وتحركوا في سرعة ومهارة ، وسرّعان ما كانت أجهزتهم تكافح الحريق في قوة وإصرار ..

وعلى الرغم من وجود خمس سيارات إطفاء ، وعشرات الرجال المدربين على مواجهة مثل هذه المخاطر ، وعلى الرغم من استخدامهم لمادة رغوية حديثة ، إلا أن عنف النيران الشديد لم يمكنهم من السيطرة عليها قبل ساعة كاملة ، التهم الحريق خلالها ما يزيد على تسعين في المائة من محتويات المخازن ، وبدأ رئيس مجلس إدارة الشركة — الذي تم استدعاؤه على عجل — في حالة يرثى لها من الإحساس بالمرارة والألم ، وهو يحاول تخفيف العرق الغزير ، الذي يملأ وجهه ، ويلوح بذراعيه ، قائلاً في يأس وإحباط هائلين :



— خسارة رهيبة .. لقد التهمت النيران مخزوننا يقدر بملايين الجنيهات .. إنها كارثة .

مطّ العقيد (مختار) — رئيس فرقة الإطفاء — شفتيه في أسف ، وهو يغمغم :

— إنها كارثة ولا شك ، وسيكون على رجال البحث الجنائي أن يبذلوا أقصى جهدهم ؛ لتحديد المسؤولية ، ومعاقبة المسئول و .. قاطعه صوت مفعم بالانفعالات ، يقول في اهتمام :

— سيستغرق هذا بضعة أشهر على الأقل يا سيادة العقيد ، ولكن لو أننا بدأنا في دراسة الأمر الآن ، فربما .. التفت العقيد (مختار) ، ورئيس مجلس الإدارة إلى مصدر الصوت ، وبدا الضجر على وجه العقيد (مختار) ، وهو يقاطع صاحب الصوت ، قائلاً :

— أهو أنت ؟! .. كيف وصلت بهذه السرعة ؟
ابتسم الشاب — صاحب الصوت — وهو يقول في هدوء :
— سرعة ؟! .. أية سرعة يا سيدي ؟ .. إنكم هنا منذ ساعة كاملة .

ثم التفت يصافح رئيس مجلس الإدارة .. الذي بدا حائراً مشدوهاً ، وقدم نفسه قائلاً :

— (عصام كامل) يا سيدي .. صحفي بقسم الحوادث في جريدة ...

قاطعه رئيس مجلس الإدارة في لهفة :

— يا إلهي !! .. إذن فأنت (عصام كامل) ! .. إنني أقرأ كل تحقيقاتك البوليسية الرائعة ، التي توقعها باسم (ع × ٢) .. يا إلهي !! .. أعتقد أنه يمكنك إفادتنا كثيراً .

عقد العقيد (مختار) حاجبيه في ضيق ، وهو يقول :

— هذا العمل يخص رجال الشرطة و .. قاطعه (عصام) في مرح :

— والصحافة أيضاً يا سيادة العقيد .
أجابه العقيد (مختار) في صرامة :

— اسمع يا (عصام) .. إنني أعترف أنك صحفي بارع ، ولكنني أحذرك من التدخل في شأن من شئون الشرطة ، و .. عاد (عصام) يقاطعه بنفس المرح ، وهو يلوح بآلة التصوير الخاصة به :

— رُوَيْدَكَ يا سيادة العقيد .. إنه حريق ضخيم ، ولن تمضي لحظات حتى يمتلئ المكان بصحفيين من كل الجرائد الحزبية والقومية ، فلم تحاول منعني من الحصول على سبق صحفي ؟
ثم ربت على كتف رئيس مجلس الإدارة ، مستطرذاً في حماس :

— هيا يا سيدى .. هيا .. لا ريب أنك ترغب فى تفقد المكان بعد الكارثة .. هيا .

زفر العقيد (مختار) فى ضيق ، وهو يراقبهما يتجهان نحو المخازن ، التى حبا حريقها ، وغمغم فى سخط :

— ياله من عنيد !!

وعاد يواصل عمله ، محاولا تجاهل ما حدث منذ لحظات ..

كان الخراب يحيط بالمكان على نحو يدعو للراء ، حتى أن رئيس مجلس الإدارة عجز عن التفوه بكلمة واحدة طوال عشر دقائق كاملة ، وهو ينقل بصره بين بقايا الأقمشة المحترقة ، والأثاث الذى تحول إلى كتل سوداء متهاكة ، حتى سألته (عصام) فى إشفاق :

— هل يمكن تحديد قيمة الخسائر يا سيدى ؟

لوح الرجل بذراعيه فى تهالك ، وهو يقول فى ألم :

— بالطبع .. صحيح أن دفاتر المخازن كلها قد احترقت بلا شك ، ولكن قسم الحسابات بالشركة يملك نسخة منها ، وسيمكننا بواسطتها تحديد الخسائر ، ولكنها لن تقل عن خمسة ملايين على أقل تقدير .

بدت ملامح التفكير على وجه (عصام) ، وهو يقول :

— ألا يحتمل أن يكون الحريق متعمدا ؟

ارتسم الذعر على وجه رئيس مجلس الإدارة ، وهو يغمغم :

— هذا احتمال وارد ولا شك ، ولكنه يفزعنى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

— من المسئول عن المخازن ؟

أجابه الرجل فى توتر :

— ثلاثة أمناء مخازن هنا .. (نجيب) و (فاروق) و (حجاج) .. ثم هناك الحفير أيضا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يتساءل فى دهشة :

— الحفير ؟! وأين هو ؟! .. أما كان ينبغى له أن يكون هنا الآن ؟

انتقلت دهشته إلى رئيس مجلس الإدارة ، الذى غمغم فى خيرة :

— نعم .. أين هو ؟

ثم استدرك فى توتر :

— هل تظن أنه

قاطعه (عصام) فى هدوء :

— لَمْ يَحِنْ وَقْتُ الظَّنِّ بَعْدُ يَا سَيِّدِي ..
وَاتَّجِهْ نَحْوَ بَابِ الْمَخَازِنِ الرَّئِيسِيِّ ، وَفَحْصْ قُفْلَهُ فِي عَنَايَةِ ، ثُمَّ
قَالَ فِي انْفِعَالٍ :

— هَذَا الْقُفْلُ مُحَطَّمٌ .

هَتَفَ رَئِيسُ مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ فِي جَزَعٍ :
— إِذَنْ فَالْخَفِيرُ هُوَ الْفَاعِلُ بِلَا شَكٍّ ، فَالثَّلَاثَةُ الْآخَرُونَ
يَمْلِكُونَ مَفَاتِيحَ الْمَخَازِنِ .

أَشَارَ (عَصَامُ) إِلَى بَقَايَا سَلَكٍ مُحْتَرِقٍ ، يَتَّصِلُ بِالتَّيَّارِ
الكَهْرَبِيِّ ، وَهُوَ يَسْأَلُ :

— هَلْ تَسْتَخْدِمُونَ الْأَجْهَازَ الْكَهْرَبِيَّةَ هُنَا ؟

هَتَفَ رَئِيسُ مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ فِي اسْتِكْثَارٍ :
— لَا بِالطَّبَعِ ... هَذَا مُحْظُورٌ تَمَامًا دَاخِلَ مَخَازِنِ الْأَقْمِشَةِ
بِالذَّاتِ .

دَاعَبَ (عَصَامُ) بِقَدَمِهِ بَقَايَا زَجَاجٍ مُحَطَّمٍ ، ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ
يَتَفَحَّصُ جُدْرَانَ الْمَخْزَنِ الْقَرِيبَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— لَا تَوْجَدُ نَوَافِذَ فِي هَذَا الْجَانِبِ يَا سَيِّدِي ، فَمِنْ أَيْنَ أَتَى
هَذَا الزَّجَاجُ الْمُحَطَّمُ ؟

قَلَّبَ رَئِيسُ مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ كَفِيَّةً فِي حَيِّرَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَشَارَ (عَصَامُ) إِلَى بَقَايَا سَلَكٍ مُحْتَرِقٍ ،

— لست أدري يا ولدي .. لست أدري .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول في حزم :

— صحيح أنني لا أدري بعد كيف حدث هذا يا سيدي ،

ولكن ذلك الحريق كان متعمداً .

وصمت وهلة ، قبل أن يُردف بمزيد من الحزم :

— وسيثبت فريق (ع × ٢) ذلك .. أؤكد لك .



٢ — البداية ..

استمع (عماد) و (غلا) إلى (عصام) في اهتمام بالغ ، حتى وصل بقصته إلى عُثوره على بقايا السلك المحترق ، وقطع الزجاج المحطمة ، فعقدت (غلا) حاجبيها ، وهي تغمغم في خيرة :

— بقايا سلك وقطع زجاج ؟! .. ماذا يعني هذا سوى ... ؟

أكمل (عماد) عباراتها قائلاً :

— سوى أن الحفير ليس هو مرتكب الحادث .

هتف (عصام) في استنكار :

— أخطأتما هذه المرة ولا شك ، فالحفير هو المتهم الأول ،

بدليل هروبه من مكان الحادث ، ثم إن أمناء المخازن الثلاثة قد

أنكروا علاقتهم بالسلك الكهربائي ، الذي أكد رجال البحث

الجنائي مسئوليته عن إحداث الحريق ، بماس كهربائي صغير ،

ومن الواضح أنه قد وُضِعَ متعمداً ليحدث ذلك و ..

قاطعته (غلا) ، وهي تبسم في هدوء :

— لا تتعجل النتائج يا أستاذ (عصام) .

وابتسم (عماد) بدوره ، قائلاً :

— لو أن أحد أمناء المخازن هو المسئول عن الحريق ، فهل كنت تتوقع أن يعترف بأنه صاحب السلك المتسبب فيه ، على الرغم من كون ذلك مخالفاً للقوانين ؟

لوح (عصام) بكفه ، وهو يقول في حنق :

— لا بالطبع ، ولكن ثلاثتهم أثبتوا بُعدهم عن مكان الحريق حينما شَبَّ ، فقد كان (نجيب) و (فاروق) في السينما ، (وحجاج) قضى سهرته في منزل صهره ، ولم يعلم بالحريق سوى من صحف الصباح .

سأله (غلا) في اهتمام :

— وهل هناك ما يؤكد ذهاب (نجيب) و (فاروق) إلى السينما ، في هذا الوقت بالذات ؟

غمغم (عصام) في حماس :

— تذكرنا السينما بالطبع .

تبادل (عماد) و (غلا) واحدة من نظراتهما الهادئة

الغامضة ، التي تثير أعصاب (عصام) ، فاستطرد في حنق :

— أعلم أن هذا ليس دليلاً كافياً بالطبع ، وأعلم أنكما

تفكران في احتمال أن يكونا قد اكتفيا بالحصول على التذكريتين ، دون أن يظاً أحدهما باب السينما ، ولكن مدير السينما هو صديق قديم لـ (فاروق) ، ولقد شهد أنهما شاهدا العرض منذ بدايته ، وإلى نهايته .

سأله (غلا) :

— وماذا عن (حجاج) ؟

هز كتفيه قائلاً :

— دليله قوى للغاية ، فلقد كان عيد ميلاد ابن شقيق زوجته أمس ، ولقد احتفلت به الأسرة كلها في منزل صهره ، ولقد شهد الجميع بوجوده طيلة الوقت .

وابتسم في ظفر ، وهو يستطرد :

— وهكذا يكون الحفير هو المتهم الوحيد .

غمغمت (غلا) في هدوء مُستفِز :

— إنه ليس الفاعل .

هتف (عصام) في انفعال :

— أهي مكابرة فحسب ؟

أجابه (عماد) :

— لا يا أستاذ (عصام) ، ولكن ملابسات الأمر تؤكد

أنه ليس الفاعل ، فمادام قد حطّم قُفْل الباب ، ويتعمّد
الهروب بعد ارتكاب الحادث ، فلماذا يصرّ على إشعال الحريق
بماس كهربى ؟ .. ألم يكن من الأبسط أن يشعل النار بعود ثقاب
ويفرّ ؟ ..

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :

— ربّما أراد أن ..

قبل أن يتم عبارته ، تقدّم منه نادل النادى ، وقال فى
احترام :

— مكالمة هاتفية لك يا أستاذ (عصام) .

أسرع (عصام) يلبّى المكالمة ، وكأنه يفرّ من الحرج
الذى أوقعه فيه (عماد) و (علا) ، فى حين التفتت الأخيرة
إلى شقيقها ، وسأله فى اهتمام :

— إذا كان السِّلْك هو سبب الحريق ، فما الذى تعنيه قطع
الزجاج المحطّمة يا (عماد) ؟

هزّ كتفيه الصغيرتين ، وهو يقول :

— لم يتّضح لى ذلك بعد يا (علا) ، فنحن نحتاج إلى مزيد
من المعلومات .

عاد إليهما (عصام) فى سرعة ، وبدأ مُفَعِّمًا بالانفعالات ،
وهو يلتقط آله التصويرية ، قائلاً :

— معذرة يا صديقى .. لا بدّ لى من الانصراف فورًا .

سأله (علا) فى لهفة :

— هل من جديد ؟

تأمّلها لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب :

— نعم .. لقد عثروا على الخفير .

« لست الفاعل يا سيّدى .. أقسم لك »

نطق الخفير بهذه الكلمات فى لهجة أقرب إلى البكاء ، تجمع
بين الضّراعة والدّعر ، أمام وكيل النيابة ، الذى عاد يسأله فى
خشونة :

— لماذا عمّدت إلى الفرار إذن ؟

كان الخفير رجلًا فى حِوَالَى الخمسين من عمره ، تُوجى
ملامحه بالبساطة والطيبة ، وكان الخوف وقلة الحيلة واضحين فى
ملامحه وحركاته ، وهو يجيب :

— خشيت أن يتهمونى بإشعال الحريق ، وأنا رجل مسكين
يا سيّدى و ..

قاطعه وكيل النيابة في صرامة :

— منذ متى وأنت تعمل خفيراً للمخازن ؟

أجابه الخفير :

— منذ عشرين عاماً يا سيدي ، ولم يحدث أن ...

عاد وكيل النيابة يقاطعه :

— لماذا أشعلت النار إذن ؟

صرخ الرجل في جزع ، وأخذ يهتف في رعب :

— إنني لم أفعل يا سيدي .. أقسم لك .

حدّجه وكيل النيابة بنظرة قاسية ، ثم لانت ملامحه ، وهو

يسأله في هدوء :

— ماذا حدث أمس بالضبط ؟

أجابه الخفير ، وهو يرتجف :

— لقد انصرف الأستاذ (فاروق) والأستاذ (نحيب) في

الثالثة إلا الربع ، وسمعتهما يتفقان على الذهاب إلى السينما في

المساء ، وبعدهما بخمس دقائق تقريباً خرج الأستاذ (حجّاج)

وأعطاني إناء حفظ السوائل الخاص به (الترمس) ؛ لأغسله

كالعادة ، وأغلق باب المخزن ، ووقف يتحدث إليّ حتى انتهيت
من غسل الإناء ، وأخذه وانصرف .

سأله وكيل النيابة :

— وهل عاد أحدهم في المساء ؟

أجابه الخفير في تأكيد :

— لا يا سيدي .. إنني لم أر أيّهم ، حتى هذه اللحظة .

كان الرجل يُدين نفسه دون أن يدري ، بتأكيد أنه الوحيد

الذي تواجد في مكان الحادث ، حينما شبّ الحريق في الثامنة

والنصف مساءً ، فتهدّد وكيل النيابة ، وهو يسأله :

— ومتى حدث الحريق ؟

أجابه الخفير في انفعال :

— لست أملك ساعة لتحديد الموعد بالضبط يا سيدي ،

ولكنني كنت قد انتهيت تَوّاً من صلاة العشاء ، حينما سمعت

صوت زجاج يتحطّم داخل المخزن ، فأسرعت إليه ، ودفعت

بابه ، فاندلعت النيران فجأة ، وكأنما حدثت بفعل شيطان

رجيم ، وتملّكني الرعب ، فلم أدر إلا وأنا أهرول مبتعداً ،

وحينما تمالكت نفسي ، كان الحريق قد تأجّج ، فبادرت

بالفرار ، خشية أن أتهم بإحداثه .

عقد وكيل النيابة حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— إذن فقد اندلعت النيران فجأة ؟ .. أتحاول خداعنا

يارجل ، أم تتظاهر بالجنون ؟

هتف الرجل في ضراعة :

— أقسم لك أن هذا ما حدث يا سيدي .. إن الذي

أشعل النيران عفريت من الجن .

زفر وكيل النيابة في حنق ، ثم مال على مُعَاوِنِهِ ، قائلاً في

صرامة :

— يُؤْمَرُ بحجزه أربعة أيام على ذمة التحقيق ، ويراعى

التجديد في الموعد .

جحظت عينا الخفير ، وهو يهف في ضراعة :

— إننى مظلوم ياسيادة وكيل النيابة ... مظلوم .

صاح به وكيل النيابة في خشونة :

— اصمت يارجل .. ألم تفهم بعد ؟

ثم اعتدل مستطرداً في صرامة :

— إنك المتهم الأول في قضية الحريق .

تنهَّد (عصام) في عمق ، ولَوَّح بكفِّهِ وهو يقول :

— لقد تجشَّمت الكثير حتى أمكننى الحصول على محضر

التحقيق مع الخفير ، ولكنه زادنى يقيناً أن الرجل هو الفاعل .

هزَّت (غلا) رأسها نفياً ، وهى تقول في جدِّية :

— إنه على العكس ، زادنى إيماناً ببراءته .

التفت (عصام) إلى (عماد) ، وهو يقول في حِدَّة :

— هل توافق شقيقتك في هذا القول ؟

أجابه (عماد) في حرج :

— فى كل حرف منه يا أستاذ (عصام) . معذرة .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في سخط :

— هل ترفضان الحقائق لمجرد ألا تبدو القضية عادية ؟ ..

هل تصدِّقان قصة ذلك المأفون عن اندلاع الحريق دفعة

واحدة ؟ .. إنه رجل متخلف ، يؤمن بالجن والعفاريت .

ابتسم (عماد) وهو يقول :

— كلنا نؤمن بها يا أستاذ (عصام) ، فقد جاء ذكر

عفريت من الجن فى آيات القرآن الكريم .. ولكن الرجل الذى

ارتكب هذا الحريق الغامض ليس عفريتاً من الجن ، وإنما هو

بشرى مثلنا .

غمغم (عصام) فى حنق :

— وهو ليس الخفير .. أليس كذلك ؟

قالت (غُلا) في اهتمام :

— اسمع يا أستاذ (عصام) .. دعنا لا نتعجل النتائج ،
ولكن علينا أن نبدأ تحرياتنا فوراً .

تنهَّد (عصام) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول
في ضَجَر :

— حسناً .. ماذا تريد مني أن أفعل ؟

أجابه (عماد) في حماس :

— سنبدأ من البداية كالعادة يا أستاذ (عصام) .. سنبدأ
باستجواب أمناء المخازن الثلاثة ، فالفاعل هو أحدهم .

وغمغمت (غُلا) في صوت عميق :

— أو كلهم .

٣ — الاستجواب ..

تبادل أمناء المخزن الثلاثة : (نحيب) ، و (فاروق) ،
و (حجاج) نظرات قلقة حائرة ، ثم اتجهت أبصارهم نحو
(عصام) ، وقال (نحيب) :

— ليس لدينا ما ندلي به للصحافة يا أستاذ (عصام) ،
فلقد أبلغنا الشرطة بكل ما لدينا و

قاطعته (عصام) في حزم :

— أنت واثق ياسيد (نحيب) ؟

ارتفع حاجبا (نحيب) في دهشة ، في حين عقد (حجاج)
حاجبيه ، وهو يقول :

— ماذا تعنى يا أستاذ (عصام) ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי (عصام) ، وهو
يقول :

— أعنى أن أحكم ، أو كلكم قد أخفيتم بعض الحقائق عن
رجال الشرطة .

اندفع (فاروق) يقول في عصبية :

— هل تهمنا بارتكاب الحادث يا أستاذ (عصام) ؟

أجابه (عصام) في برود :

— بالطبع .

ارتسمت الدهشة على وجوه الرجال الثلاثة ، ثم لم تلبث أن

تحولت إلى ثورة من الغضب ، وصاح (فاروق) :

— أنت وقح يا أستاذ (عصام) ، فالشرطة نفسها لم ..

قاطعه (عصام) في صرامة :

— دعنا من الشرطة .. لقد أحرقت المخازن ؛ لإخفاء

عجز ما ، يخص عهدة أحدكم ، وهذا يعنى أن أحدكم هو المسئول
عن الحريق بوسيلة أو بأخرى .

صاح (فاروق) في غضب :

— أيها الوقح !!

وغمغم (نحيب) في شماعة :

— ليس لك الحق في توجيه أية اتهامات .

أما (حجّاج) فقال في دهشة :

— ولكن لماذا تهمنا بذلك ؟.. لقد قرّرت الشرطة أن

الخفير هو المسئول .

شعر (عصام) بالغضب في أعماقه ، فقد كان هذا مايؤمن

به أيضًا ، إلا أنه لَوَّح ، وهو يقول في صرامة :

— هذا يتوقّف على الحديث الذى سنجرّبه معًا الآن أيها

السادة .

صاح (فاروق) في غضب :

— لا تتوقّع منى حرفًا واحدًا .

أما (نحيب) فقال في توتر :

— ما الذى تريد معرفته أيها الصحفي ؟

سأله (عصام) في اهتمام :

— لماذا ذهبت إلى السينما مع (فاروق) أمس بالذات ؟

مطّ (نحيب) شفّتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يقول :

— لقد اعتدنا أن نذهب إلى السينما معًا كل خميس ، وهذا

ما فعلناه أمس .

سأله (عصام) ، وقد ازداد شعوره بعدم جدوى هذا

الاستجواب :

— هل كنّا نتوقّعان جرّدًا أو تفتيشًا في الأيام القادمة ؟

أجابه (حجّاج) هذه المرّة ، قائلًا :

— نعم .. كنا ننتظر تفتيشًا ومراجعة للمخازن بعد باكر ،
ولكن هذا لا يعنى أن ..

قاطعه (فاروق) فى حدة :

— دعه يتصور ما يشاء ، فهو لا يملك شيئًا .

حاول (عصام) أن يجد سؤالًا جديدًا ، ليواصل استجوابه
للرجال الثلاثة ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بالسخط ؛ لأن كل
ما دار بخلده من أسئلة كان قد قرأ أجوبتها فى محاضر الشرطة ،
فزفر فى ضيق ، وهو يقول :

— حسنًا .. أعتقد أن هذا يكفى .

ثم استدرك فى سرعة :

— ولكننى سأعود إذا ما لزم الأمر .

هتف (فاروق) :

— يا للصفاقة !!

أما (نجيب) و (حجاج) ، فلم يفه أحدهما بحرف واحد ،
حتى انصرف (عصام) ، وران فى المكان صمت ثقيل ، إلى أن
غمغم أحد الرجال الثلاثة فى توثر :

— أعتقد أنه على حق فى شكوكه .

ثم لَوَّح بكفه مستطردًا :

— لقد أصبحت أبغض هذا المكان .. سأذهب إلى الإدارة
بعض الوقت .

وانصرف بخطوات سريعة ، وهو يسمع أحد زميليه يقول
لرفيقه :

— أين ال (ترمس) ؟ .. إننى أتوق لقدح من الشاي .
واتجه الرجل الأول فى سرعة إلى مكاتب الإدارة . والتقط
سماعة أول هاتف صادفه ، وطلب رقمًا ما ، ثم انتظر فى توثر حتى
جاءه صوت محدثه على الطرف الآخر للهاتف ، وهمس فى
انفعال :

— اسمعنى جيّدًا يا (سعفران) .. لقد جاء هنا ذلك
الصحفى المشهور فى قسم الحوادث ، (عصام كامل) ،
وأعتقد أنه يحمل دليلًا ما يديننا ، وتحقيقاته السابقة تؤكد أنه
بالغ الذكاء فى هذا المجال ؛ لذا أريد منك أن تتخلص منه قبل أن
يكشف أمرنا .

ثم أردف فى حزم :

— الليلة .

خرج (عصام) من مبنى شركة النيل للمنسوجات إلى صحيفته مباشرة ، وعربد السخط في أعماقه حتى أنه لم يحاول الاتصال بـ (عماد) و (غلا) ، أو سرد ما حدث على مسامعهما ، فقد كان يشعر أنه قد أخطأ بإقدامه على تلك الخطوة ، التي قاداه إليها ، حينما دفعاه لاستجواب الرجال الثلاثة ، بعد أن أكّدت الشرطة براءتهم ، ودون أن يجد سؤالاً جديداً واحداً ، يمكنه أن يسألهم إياه ، ليضيف إلى ما لديه من معلومات معلومة جديدة واحدة ..

وطوال الفترة التي قضاها في الجريدة ، حتى منتصف الليل ، كان شديد العصبية والتوتر ، مما دفع أحد زملائه إلى أن يسأله في قلق :

— ماذا بك اليوم يا (عصام) ؟

هتف زميل آخر ضاحكاً :

— يبدو أنه يعجز عن التوصل إلى تفسير بوليسى مشير ، في تحقيقه الجديد عن الحريق .

غمغم (عصام) في حنق :

— الزم الصمت أو أحطّم أنفك .

ضحك زميله في مرح ، في حين سأله الزميل الأول في دهشة :

— ولكن قضية الحريق لا تحمل أى غموض يا (عصام) !! .. إنها قضية واضحة ، ولقد ألقى رجال الشرطة القبض على الخفير و

قاطعته (عصام) في سخط :

— هلاً صمتت وتركتى وخدى ؟

ابتسم زميله في إشفاق ، ورّبت على كتفه ، قائلاً :

— لا بأس يا (عصام) .. سأتركك وخذك .

ازدادت عصبية (عصام) ، حينما شعر بفضاضته في التعامل مع زميله ، ونهض يلتقط آله التصويرية ، وهو يقول في توتر :

— سأصرف .

تطلّع إليه رئيس قسم الحوادث في خيرة ، ثم أجابه في هدوء واقتصاب :

— لا بأس .

غادر (عصام) مبنى الجريدة في خطوات سريعة حائقة ، وزفر في قوة ، وهو يعبر الطريق ، مغمغماً في سخط :

— أراهن أننى لن أجد ما يقلّنى إلى منزلى ، حتى تكتمل سخافة هذه الليلة .



لم يكد يتم عبارته حتى توقفت إلى جواره سيارة صغيرة ،
مصرية الصنع ، وسمع قائدها يهتف في حرارة :

— أستاذ (عصام) ؟ ..! كيف حالك ؟

التفت في دهشة إلى قائد السيارة ، والرجل الذي يجلس إلى
جواره صامتًا ، وتأمل ملامحهما لحظة ، ثم سألهما في تردد :

— معذرة .. هل سبق لنا أن تعارفنا ؟

ابتسم قائد السيارة ، وهو يقول في هدوء لم يرقق
ل (عصام) :

— ليس بعد ، ولكن هذا لن يتأخر كثيرًا .

وفجأة رفع الرجل الآخر فوهة مسدس ضخمة نحو
(عصام) ، وهو يقول في خشونة :

— هل تكفى هذه البطاقة لتعارفنا ؟

امتقع وجه (عصام) ، وهو يحدق في فوهة المسدس ، في
حين ابتسم قائد السيارة ، وهو يقول في برود ساخر :

— هيا يا أستاذ (عصام) .. ستصبحنا في رحلة قصيرة .

وأطلق الرجل الآخر ضحكة أشبه بزمجرة حيوان جريح ، قبل
أن يغمغم ساخرًا .

— أو طويلة .. هذا يتوقف على قدرتك على الاحتمال أيها
الصحفي العبقري ..

ثم أردف في صرامة :

— اركب السيارة .

أطاع (عصام) في استسلام ، وانطلقت به السيارة نحو
المجهول ..



٤ — رصاصة واحدة ..

أطفأت والددة (عماد) و (غلا) ضوء حجرتهما ، وهي
تبتسم قائلة :

— ليلة طيبة يا ولدي .. ينبغي أن نخلد إلى النوم فوراً ،
فلقد تجاوزت الساعة منتصف الليل بعدة دقائق .

غمغم (عماد) و (غلا) في شرود :

— ليلة طيبة يا أمّاه .

ولم تكده أمهما تغلق باب حجرتهما خلفها ، حتى سألت
(غلا) شقيقها في صوت خافت :

— فيم تفكر يا (عماد) ؟

أجابها في همس :

— في بقايا سلك ، وقطع زجاج محطمة .

ران الصمت بينهما لحظات ، ثم غمغمت هي :

— أراهنك أن حلّ اللغز كله يكمن في هذين الشيئين
الصغيرين .

أجابه في اهتمام :

— إننا نعلم أن السلك هو المسئول عن حدوث الماس الكهربى ، الذى أذى إلى الحريق ، ولكن ماذا تعنيه قطع الزجاج ،

قالت (غلا) فى انفعال :

— أعتقد أنها بقايا زجاجة ، كانت تحوى شيئاً ما ، وهذا يتفق مع اشتعال النار فجأة ، حينما فتح الخفير باب الخزن ، و ..

وبترت عبارتها لتتف فجأة :

— (عماد) .. أظن أننى قد توصلت إلى كيفية حدوث الحريق .

قفز من فراشه ، وهو يهتف فى حماس :

— وأنا أيضاً يا (غلا) .

هتفت فى انفعال :

— هل تعلم أن مفتعل الحريق الغامض مجرم ذكى ودقيق ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— وحقير أيضاً .

ثم عقد حاجبيه الصغيرين ، وهو يستطرد فى توثر :

— ولكن من هو ؟ .. من ؟ !

التزم (عصام) الصمت تماماً ، طوال الطريق الذى قطعه السيارة ، على الرغم من أن توثره قد بلغ ذروته ، وخاصة فى وجود فوهة المسدس الباردة ، الملتصقة بجانبه ، وهذين الرجلين ، اللذين يلوح فى وجهيهما الشر فى وضوح ..

وسرت فى جسده رعدة قوية ، عندما وصلت السيارة إلى جبل المقطم ، وقطعت الطريق الذى يعبره ، حتى توقفت فى منطقة منعزلة نائية ، ولكزه الرجل الضخم بفوهة مسدسه ، وهو يقول فى خشونة :

— اهبط .

هبط من السيارة ، وهو يرتجف من شدة خوفه وانفعاله ، ورأى قائد السيارة وهو يهبط بدوره ، ويشعل سيجارته ، ثم سمعه يسأله فى برود :

— حسناً .. ماذا تعرف عن الحريق ؟

غمغم (عصام) فى توثر :

— أى حريق ؟

ارتسمت القسوة على ملامح الرجل ، وهو يقول فى خشونة :

— هل ستعمد إلى المراوغة منذ البداية ؟

ازدرد (عصام) لعبه في صعوبة ، وهو يقول :

— هل تقصد حريق شركة النيل ؟

ابتسم الرجل في سخرية ، وهو يقول :

— نعم .. إننى أقصده بالضبط .

ثم استطرد في خشونة صارمة :

— ماذا لديك عنه ؟

شعر (عصام) بجفاف شديد في حلقه ، حتى أنه عجز عن

ازدراء لعبه هذه المرة ، وهو يغمغم في صوت متحشرج :

— إنه حريق مفتعل .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يسأله في اهتمام واضح :

— وما دليلك على ذلك ؟

غمغم (عصام) :

— اختطافكم لى هو خير دليل .

حدّجه الرجل بنظرة قاسية ، ثم قال فى برود :

— هكذا ؟!.. يا لك من عبقرى !!

ثم نفث دُخان سيجارته فى قوّة ، قبل أن يسأله فى

هدوء :

— كم تساوى يا أستاذ (عصام) ؟

رفع (عصام) حاجبيه فى دهشة ، وهو يردّد فى

خيرة :

— كم أساوى ؟!

هتف الرجل فى غضب :

— نعم .. وبمعنى أكثر وضوحاً كم تريد لتتخلّى عن هذا

التحقيق بالذات ؟ هل يكفيك عشرة آلاف جنيه ؟.. إن هذا

يساوى مرتّبك فى عشر سنوات كاملة .

شعر (عصام) بالغضب ، أمام هذه المساومة القذرة ،

وأزال غضبه كل الخوف الذى يشعر به فى أعماقه ، فهتف فى

ازدراء :

— أنت رجل حقير .. إننى لن أتخلّى عن هذا التحقيق ،

حتى ولو دفعت لى مليون جنيه كاملاً .

احتقن وجه الرجل غضباً ، وهو يقول فى صرامة :

— أهذا هو قرارك النهائى ؟

أجابه (عصام) فى حزم عنيد :

— نعم .

مطّ الرجل شفّتيه في أسف ، وقال :

— في هذه الحالة لن تساوى سوى ثمن رصاصة واحدة أيها الصحفي .

ثم التفت إلى الرجل الضخم ، الذى يصوّب مسدّسه إلى رأس (عصام) ، واستطرد في هدوء :

— اقتله يا (رشوان) .



٥ — معركة في المقطم ..

لم يصدّق (عصام) أذنيه ، حينما سمع الرجل يأمر بقتله بهذا الهدوء ، وكأنما يصدر أمراً بقتل حشرة صغيرة ضارّة ، ولكن غضبه دفع في عروقه قوّة وجرأة شديديتين ، فغاص بجسده إلى أسفل بحركة سريعة ، وسمع دوى الرصاصة ، وهى تمزق فوق رأسه ، وبدأ له الدوى أشبه بقصف الرعد ، وتخيّل هذه الرصاصة وهى تخترق جسده ، فزاد هذا من غضبه ، ودار على عقبيه في مرونة لم يعهدها فى جسده قط ، ولكم الرجل الضخم بكل ما يملك من قوّة فى معدته ، وسمع الرجل يتأوّه فى ألم ودهشة ، فأسرع يلكمه فى فكه ، وشعر بالألم فى عظام قبضته ، ولكنه رأى الرجل الضخم يسقط أرضاً ، فاستدار يواجه الآخر ..

وصاح (رشوان) الضخم ، وهو ينهض فى صعوبة :

— اقتله يا (فريد) .. اقتله .

انقضّ (فريد) على (عصام) فى شراسة ، وطوّح بقبضته

في وجهه ، ولكن (عصام) تفادى اللكمة في صعوبة ، ولكم
(فريد) في أنفه بقوة ، وسمعه وهو يتأوه ، ويسب ساخطا ،
ورأى الدماء تتدفق من أنفه في غزارة ، فقفر جانبا ، وهو
يقول :

— حذار .. إنكما تُقدمان على ارتكاب جريمة قتل ،
وهذا ..

بتر عبارته فجأة ، وسرت في جسده قشعريرة قوية ، عندما
رأى (رشوان) يلتقط المسدس ، الذي سقط منه ، ويصوره
إليه مرة أخرى ، فلوح بكفه ، وهو يصرخ في لهفة :
— إنه يحاول قتلى أيما الضابط .

كانت خدعة قديمة قدم الدهر ، إلا أنها دائما ما تفلح ،
فقد استدار (فريد) و (رشوان) إلى حيث ينظر في دعر ،
وحيث أدركا الخدعة ، كان (عصام) يندفع نحوهما ، ويدفعهما
بكفه بأقصى قوته ..

وسقط الاثنان أرضا ، في حين انطلق (عصام) يعدو
بأقصى ما يملك من قوة ، دون أن يحدد هدفا ، أو اتجاها ..
كان كل ما يطمح إليه هو أن يتعد عن خصميه بأكبر مسافة
ممكنة ؛ للإفلات من المصير المظلم الذي يحمله له ، ولكن



وسقط الاثنان أرضا ، في حين انطلق (عصام) يعدو
بأقصى ما يملك من قوة ، دون أن يحدد هدفا ، أو اتجاها ..

(فريد) و (رشوان) استعدادا توازنهما ، ونهضا في سرعة ،
وهتف الأول في توثر :

— لا تسمح له بالفرار .. لقد تعرفنا ، وأصبح أكثر
خطورة .

زجر (رشوان) ، وهو يقول في خشونة :

— لن يفر مني أبدا .

وانطلق الاثنان يعضدان خلف (عصام) في سرعة
وإصرار ..

كان الخوف يدفعه للركض بسرعة كبيرة ، إلا أن الرجلين
اللذين يطاردانه كانا أقوى بنية ، وأشد بأسا ؛ لذا فلم يمض
وقت طويل حتى لحقا به ، وهتف به (رشوان) في صرامة :

— قف أو أطلق النار .

كان صوته قريبا ، حتى أن اليأس قد سيطر على قلب
(عصام) فتوقف عن العدو وهو يلهث في قوة ، وقال في
تعب :

— حسنا ، ولكنك ستخسر كثيرا لو قتلتني ، فزميلي في
الجريدة يعلم كل ما لدى و ...

كان يتحدث وهو يوليها ظهره ، فارتجف حينما صكت
مسامعه ضحكة ساخرة ، وسمع (فريد) يقول :

— دعك من هذه الخدعة .. إن أحدا لم يرنا .. وبعد أن
نقتلك لن تجد شاهدا واحدا .

التفت إليهما (عصام) ، وهو يقول :

— ربما أمكننا أن ..

وفجأة بتر عبارته ، وتهللت أساريره ، وهو يهتف في فرح :

— ألق القبض عليهما أيها الضابط .. إنهما يريدان قتلي .

زجر (رشوان) في غضب ، في حين مطأ (فريد) شفتيه في
ازدراء ، وهو يقول :

— من الخطأ أن تلجأ للخدعة نفسها مرتين أيها الصحفي ،
فمن الطبيعي أن ..

قاطعته صوت صارم قوى ، يأتي من خلفه ، قائلاً :

— مَنْ يدري ؟ .. ربما أفلحت هذه المرة ..

وكان صوت ضابط حقيقى ..

ما حدث في اللحظات التالية كان مثيرا للدهشة حقا ،
فالمجرم — أى مجرم — عادة ما ينهار تماما ، حينما يفاجأ برجال
الشرطة ، في أثناء ارتكابه لجريمته ، أو شروعه في ارتكابها ،
خاصة إذا ما ضبط متلبسا على نحو لا يسمح له بالتخلص من
الإدانة ..

ويقول رجال الشرطة المحترفون ، من ذوى الخبرة ، إن
واحدًا في المائة فقط من المجرمين ، يعتمد إلى المقاومة في مثل هذه
الحالة ، ومن العجيب أن (فريد) و (رشوان) كانا من هذا
الواحد في المائة ..

لقد استدارا لمواجهة رجال الشرطة في شراسة ، ربّما ولّدها
اليأس ، ولم يتردّد (رشوان) في إطلاق رصاصة من مسدّسه
نحو ضابط الشرطة ، الذى تفادى الرصاصة في براعة ومهارة ،
وأطلق رصاصة من مسدّسه الحكومى ، أردت (رشوان)
قتيلًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين أسرع (فريد)
يلتقط مسدّسه ، ويصوّبه نحو ضابط الشرطة ، والجنديين
المرافقين له ، فصاح به الضابط فى صرامة :
— ألق مسدّسك أو أطلق عليك النار .

ولكن (فريد) لم يستجب للإنذار ، بل أطلق رصاصة من
مسدّسه ، ضاع دويّها وسط دويّ رصاصات رجال الشرطة ،
التي أزدته قتيلاً ، بعد أن أطلق صرخة واحدة قصيرة ..
وحذّق (عصام) فى وجوه ضابط الشرطة والجنديين ،
مشدوها ، غير مصدّق ما حدث ، ورأى ضابط الشرطة يُعيد
مسدّسه إلى جرابه ، ثم يتقدّم منه ، قائلاً فى صرامة :

— أعتقد أنك ستصبحنا بالضرورة إلى قسم الشرطة ، فما
من شك فى أننا سنولى قصّتك اهتمامًا بالغًا ، حينما تشرح لنا سرّ
إصرار هذين الرجلين على قتلك .

هتف (عصام) ، وقد أفاق من دهشته :

— كيف ؟ كيف وصلتكم إلى هنا ؟

مطّ الضابط شفّتيه ، وهو يقول فى هدوء :

— إنه واجبنا ، فلقد أطلق هذان الرجلان رصاصة ، بدت
كانفجار قبلة ، وسط السكون الخيم على المكان ، وكان من
الطبعي أن تُهرَغ دُوريتنا إلى هنا ؛ لاستطلاع الأمر .

تنهّد (عصام) فى قوّة ، ثم هتف فى سعادة :

— حسنًا فعلتم .. يا إلهى !!.. لقد أنقذتم حياتي .

عاد الضابط يقول فى صرامة :

— فلنؤجل الشكر لما بعد ، أمّا الآن فستصبحنا إلى قسم

الشرطة ، ومن يدري ؟.. ربّما وضعنا اسمك فى خانة الجناة ..
هيا ..

أشارت عقارب الساعة إلى الثالثة صباحًا ، حينما توقفت
سيّارة العقيد (خيرى) ، والد (عماد) و (غلا) ، أمام

قسم شرطة المقطم ، وهبط هو منها ؛ ليعبر باب القسم في خطوات واسعة قوية ، حيث استقبله ضابط النوبة بتحية عسكرية ، أجابها العقيد (خيرى) بتحية مماثلة ، قبل أن يقول :

— أين هو ؟

أجابه الضابط في احترام :

— في حجرة التحقيقات يا سيادة العقيد ، ولقد طلب مقابلتك شخصيًا .

سأله العقيد (خيرى) ، وهو يتجه إلى حجرة التحقيقات :

— هل تم استدعاء الطبيب الشرعى ، وأخذ بصمات القتيلين ؟

أجابه الضابط :

— نعم يا سيدى ، وستصل نتائج فحص البصمات في التاسعة والنصف صباحًا .

وصل العقيد (خيرى) في تلك اللحظة إلى حجرة التحقيقات ، ولم يكده (عصام) يلمحه حتى ابتسم ، ولوح بكفه قائلاً :

— صباح الخير يا سيادة العقيد .. أخشى أن أكون قد تسببت في إيقاظك من نوم عميق .

جلس العقيد (خيرى) على المقعد المقابل له ، وسأله في هدوء :

— هل تدرك دقة موقفك هذه المرة ؟

هز (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يقول في بساطة :

— لا .. إن منطق الأحداث يقول إننى الجانى عليه ، ولست الجانى ، ولقد شهد الأمر ضابط شرطة وجنديان ، ولولاهم ما بقيت على قيد الحياة ، فمن أين تأتى دقة موقفى إذن ؟

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— يبدو أنك تثق بنفسك كثيرًا .

مط (عصام) شففيه ، وهو يقول في هدوء :

— لابد لصحفى قسم الحوادث الناجح من أن يمتلك هذه الصفة .

أطلق العقيد (خيرى) ضحكة قصيرة ، واعتدل في مجلسه ، وهو يسأله في اهتمام :

— حسنًا .. لماذا أرادا قتلك ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، ومال نحوه قائلاً :

— كانا يظنّان أنى أملك دليل إدانة ، فى حادث حريق
مخازن شركة النيل .

جاء دُور العقيد (خيرى) ليعقد حاجيه ، وهو يقول :
— أى دليل ؟ .. أليس الخفير هو المسئول ، حسبما أظن ؟
هزّ (عصام) رأسه نفياً فى إصرار ، ثم قال فى حماس :
— هكذا كنت أظن أنا أيضاً ، ولكن محاولة التخلّص منى
هذه تؤكد خطأ ذلك .

ثم انطلق يقصُّ عليه تفاصيل لقائه بأمناء المخازن الثلاثة ، فى
الصباح السابق ، واستمع إليه العقيد (خيرى) فى اهتمام ، ثم
سأله فى هدوء ، يخفى الكثير من الانفعالات ، التى يحيش بها
صدره :

— أهو استنتاج (عماد) و (غلا) ؟
تردّد (عصام) لحظة ، ثم أطرق برأسه مغمغماً :
— نعم .

عاد العقيد (خيرى) يسأله فى هدوء ، بذل جهداً
ليحتفظ به :

— وكيف أمكنك إقحامها فى الأمر ؟
حرّك (عصام) رأسه ، وهو يتمتم :

— إنهما مؤهوبان يا سيادة العقيد .
زفر العقيد (خيرى) من أعماق قلبه ، قبل أن يغمغم فى
شرود :

— نعم .. إنهما كذلك .
ثم نهض قائلاً :
— هيا يا (عصام) .. سنذهب معاً .
سأله (عصام) فى اهتمام :
— إلى أين ؟
زفر مرّة أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :
— سنعيد استجواب أمناء المخازن .. سنتبع أسلوب فريق
(ع × ٢) حتى النهاية ..



٦ — المتهمون ..

همهم (فاروق) بهمهمات ساخطة ، وأطلق سبابًا بذيئًا ، وهو يحيب نداء جرس باب منزله ، في الخامسة صباحًا ، ولكنه لم يكده يفتح الباب حتى اتسعت عيناه في ذهول ، وهتف بمزيج من الدهشة والاستككار والغضب :

— أنت ؟! ..

ابتسم (عصام) في برود ، وهو يقول :

— نعم .. إنه أنا .. هل أدهشك بقاى على قيد الحياة حتى الآن ؟

ظل (فاروق) يحدق في وجهه لحظة أخرى ، ثم هتف في خشونة :

— ماذا تريد منى ؟

لوح (عصام) بكفه ، وهو يقول :

— أريد اعترافًا بسيطًا بارتكاب جريمة إشعال حريق فى ..

صاح (فاروق) فى وجهه بغضب :



لم يكده يفتح الباب حتى اتسعت عيناه فى ذهول ..

— لن تحصل منى على حرف واحد .

لم يكذب يتم عبارته حتى ظهر العقيد (خيرى) من جانب الباب ، وهو يقول فى صرامة :

— لا تتخذ هذا القرار بسرعة يا سيد (فاروق) فستقص على مسامعى قصة حياتك كلها بعد لحظات ، فأنا العقيد (خيرى) ، من المباحث الجنائية .

شحب وجه (فاروق) ، وهو يلوح بكفه فى ذعر ، هاتفا :

— لقد أدليت بكل ما لدى لرجال الشرطة .. ماذا تريدون

منى ؟

أزاحه العقيد (خيرى) عن طريقه ، ودلف إلى الشقة وهو

يقول :

— القضية لم تنته بعد يا سيد (فاروق) .

نقل (فاروق) بصره فى توتر بين العقيد (خيرى)

و (عصام) ، ثم غمغم فى صوت متحشرج مختق :

— ماذا تريدون منى ؟

مال العقيد (خيرى) نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

— أريد منك أن تقص على كل ما حدث منذ وصولك إلى

المخازن ، وحتى مغادرتك لها يوم الحادث .

ازدرد (فاروق) لعبابه ، وقال فى توتر :

— لقد كان يوما عاديا ، فلقد وصلت إلى العمل فى الثامنة

والنصف صباحا كالمعتاد ، ووصل بعدى (نجيب) ، ثم جاء

الأستاذ (حجّاج) ، واستمرّ العمل تقليديا حتى الثالثة ،

أو الثالثة إلا الربع ، فانصرفت أنا و (نجيب) ، وتركنا للأستاذ

(حجّاج) إنهاء الدفاتر ، وإغلاق المخزن .

سأله العقيد (خيرى) :

— هل من عادة (حجّاج) أن يكون آخر من يغادر

المكان ؟

أوما (فاروق) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

— نعم .. إنه رئيس العمل ، ونحن ننصرف قبله دائما ، ثم

إننى كنت أشعر ببعض الصداق ، وكنت أحتاج إلى قدح من

الشاي ، وقرص من الأسبرين .

ران الصمت لحظة ، ثم عاد العقيد (خيرى) يسأله فى

اهتمام :

— عندما ذهبت مع (نجيب) إلى السينما ، هل غادر أحدا

الآخر بعض الوقت ؟

عقد (فاروق) حاجبيه محاولا التذكر ، ثم هتف :

— آه .. نعم .. لقد قال لي (نجيب) إنه سيذهب إلى دورة المياه .. هذا كل ما حدث .

عاد يسأله :

— وهل تغيب طويلاً ؟

قلوب كفيه في حيرة ، وهو يقول :

— لست أدري .. لقد كان الفيلم مشيراً ، فلم أتبه لفترة غيابه .

تبادل العقيد (خيرى) نظرة ذات مغزى مع (عصام) ، ثم نهض قائلاً :

— حسنًا .. هذا يكفي .

ظل (فاروق) صامتًا حتى انصرف العقيد (خيرى) و (عصام) ، ثم انهار على مقعد مجاور ، وهو يغمغم في عصبية زائدة :

— يا إلهي !! متى ينتهى هذا الكابوس ؟ .. متى ؟

« هل تظن أنه الفاعل ؟ .. » .

ألقى (عصام) هذا السؤال في لهفة ، وهو يجلس إلى جوار العقيد (خيرى) ، في سيارة هذا الأخير ، في طريقهما إلى منزل (حجاج) ، فأجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

— إننا لم ننته من استجواب الآخرين بعد .

هتف (عصام) فى حماس :

— ولكن ألم تر ذاك الدهول ، الذى ارتسم على وجهه ، حينما وقع بصره على ؟ .. لقد كان يتوقع أن أكون فى عداد الأموات .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— هذا ليس دليلًا ، ولا تنس أنك تدق جرس منزله فى الخامسة صباحًا ، وهذا كفيل بإثارة دهشة وغضب أى مخلوق .

عقد (عصام) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

— ربّما .. ولكن هذا الرجل يثير ريبتي منذ البداية .

ثم أردف فى إصرار وعناد :

— أراهنك أنه المتهم الأول ..

استقبل (حجاج) (عصام) والعقيد (خيرى) فى دهشة

حقيقية ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يقول فى ترحاب تقليدى :

— مرحبًا يا أستاذ (عصام) .. مرحبًا يا سيادة العقيد ..

معذرة ، فقد استيقظت تَوًّا ولم أرتد ثيابى بعد ..

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

— لا عليك يا سيد (حجّاج) ، نحن اللّذين ندين لك
بالاعتذار ، فالساعة لم تتجاوز السادسة إلا الربع بعد .

ابتسم (حجّاج) ، وهو يقول :

— لا بأس .. كيف يمكننى خدمتكما ؟

سأله العقيد (خيرى) :

— ماذا حدث يوم الحادث ؟ .. أعنى فى أثناء فترة العمل .

جاءت التفاصيل التى أدلى بها (حجّاج) مطابقة تمامًا لما
قاله (فاروق) ، واستمع إليه العقيد (خيرى) و (عصام)
فى اهتمام ، ثم سأله العقيد (خيرى) :

— بصفتك رئيس المخازن ، هل تظن أنه من الممكن حدوث
اختلاس ما ، دون أن يشعر به أحدكم ، حتى تحين لحظات
الجرد ، أو التفتيش ؟

هزّ (حجّاج) كتفيه ، وقال :

— بالطبع .. فالمخازن بالغة الضخامة ، وهناك عشرات
السّيارات ، التابعة لمُتاجر ومحال مختلفة ، تأتى يوميًا لتحمل
البضائع ، ومن الممكن أن تضاعف حمولة سيارّة ما ، أو يتم
تحميل سيارّة غير مدوّنة ، دون أن ينتبه أحد إلى ذلك .

— ومن يمكنه أن يفعل ذلك ؟

— أنا ، أو (فاروق) ، أو (نجيب) ، فكل منا يشرف على
قطاع منفصل .

— أيهما أكثر إخلاصًا فى عمله ؟

— (نجيب) بالطبع .. فـ (فاروق) أكثر عصبية ، ربّما
بسبب ديونه و ...

— أية ديون ؟

— إنه شديد الإسراف ، حتى لينفق ما يتجاوز مرتبه أحيانًا .
— منذ متى ؟

— منذ ما يقرب من عام كامل .

— ومتى يعمل فى المخازن ؟

— منذ عام ونصف تقريبًا .

ران الصمت بعض الوقت ، بعد هذه الإجابة ، ثم نهض
العقيد (خيرى) ، وقال فى هدوء :

— شكرًا يا أستاذ (حجّاج) .. هذا يكفى .

ولم يكذ ينصرف مع (عصام) ، حتى مال عليه ، قائلاً فى
لهجة تحمل الكثير من المعانى :

— يبدو أننى قد بدأت أميل إلى رأيك .. إن (فاروق) هو
المشتبه فيه رقم واحد .

جاء انفعال (نحيب) شديد الشبه بانفعال (فاروق) ،
حينما استقبل (عصام) والعقيد (خيرى) فى منزله ، فقد
حدّق فى وجه الأول فى ذهول ، وهتف فى دهشة :

— أنت ؟!

ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه فى سرعة ، وهو يستطرد :

— ماذا تريدان منى بالضبط ؟

أجابه العقيد (خيرى) :

— بعض أسئلة فحسب .

ومرة أخرى جاءت قصة (نحيب) عمّا حدث فى العمل ،
مطابقة تمامًا لقصتي (فاروق) و (حجاج) ، فسأله العقيد
(خيرى) :

— لماذا انصرفت وحدك من السينما ؟

هتف (نحيب) فى دهشة واستكار :

— أنا ؟!.. لقد بقيت حتى نهاية العرض !

اندفع (عصام) يسأله فى جدّة :

— ألم تذهب إلى دورة المياه ؟

صاح (نحيب) فى غضب :

— وهل يمنع القانون ذلك ؟

صاح (عصام) فى صرامة :

— نعم .. حينما يكون ذلك مجرد عذر لمغادرة السينما ،
وإشعال حريق فى المخازن .

بلغ توتر (نحيب) ذروته ، وهو يهتف :

— إنه تعنّت لا مبرر له .

رفع العقيد (خيرى) كفيه فى صرامة ، لينعهما من مواصلة
الصراخ ، ثم سأل (نحيب) :

— هل تعلم أن صديقك (فاروق) شديد الإسراف ، كثير
الديون ؟

غمغم (نحيب) فى سخط :

— هذا شأنه .

— ألا يمكن أن يدفعه هذا إلى الاختلاس ؟

— لا أذكر .

— لماذا ؟

— أجب أنت عن هذا السؤال .

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— من الواضح أنك ترفض التعاون ؛ لذا فسنكتفى بهذا
القدر ، وستقابل فيما بعد .

أشاح (نجيب) بوجهه ، وظلَّ صامتًا حتى غادرا مسكنه ،
ثم التفت إلى هاتفه ، وغمغم فى سخط :
— لقد توصَّلا إلى شيء ما ، ولكننى لن أسمح لهما بمضايقتى
بعد الآن أبدًا .

والتقط سماعة هاتفه ، وهو يكرّر فى صرامة :
— أبدًا ..



٧ — محاولة قتل ثانية ..

أشارت عقارب الساعة إلى الساعة إلا عشر دقائق ، حينما
سأل (عصام) العقيد (خيرى) ، وهو يُوصَّله بسيارته إلى
منزله ، فى مدينة (نصر) :

— ما رأيك يا سيادة العقيد ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيبه العقيد (خيرى)
فى هدوء :

— من رأى أن (فاروق) هو المشتبه فيه رقم (١) ،
و (نجيب) مدان على نحو أو آخر ، ولكننا لا نملك دليلًا
واحدًا ، يمكنه أن يقودنا إلى أحدهما .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى اهتمام :

— وماذا لو أنهما قد دبَّرا ذلك معًا ؟

هزَّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وهو يغمغم :

— ربَّما .. ولكن فى هذه الحالة أيضًا يعوزنا دليل الإدانة .

زفر (عصام) فى ضيق ، وعقد معصميه أمام صدره ، وهو

يغمغم :

— يا لها من قضية !!

ابتسم العقيد (خيرى) ، وقال فى هدوء :

— هكذا قضايا الحريق دائما — من العسير أن تجد

الفاعل ، دون دليل إدانة قوى ، فكل شئ يذهب مع النيران .

ثم أشار إلى الطريق الخالى أمامه ، وقال :

— تماما كما لو ارتكب شخص ما جريمة فى حى هادئ

كهذا ، فى السابعة من صباح الجمعة ، حيث تكون القاهرة شبه

خالية من المارة ، ولم تبدأ حركة المرور بعد و ...

وبتر عبارته فجأة ، وهو يهتف :

— يا إلهى !! .. إنها نبوءة !

كاد (عصام) يقفز من مقعده ، وهو يهتف :

— ماذا تعنى يا سيادة العقيد ؟

زاد العقيد (خيرى) من سرعة سيارته فجأة ، وهو يقول فى

صرامة :

— هناك سيارة تطاردنا يا (عصام) ، وعلى المقعد المجاور

لسائقها يجلس رجل .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حنق :

— وهذا الرجل يصوب مسدسه إلينا .

واختلطت كلمته الأخيرة بصوت الرصاصة ..

كانت الرصاصة ، التى أُطلقت نحو سيارة العقيد

(خيرى) موجهة نحو إطارها الأمامى الأيسر تماما ، ولكن

انحرافه بسيارته يمينا فى مهارة ، جعل الرصاصة ترتطم بأسفلت

الطريق ، وتضيع بعيدا ، وقبل أن يطلق المجرم رصاصه الثانية ،

كان العقيد (خيرى) يدور بسيارته فى مهارة ، ليواجه السيارة

المطاردة فى جراحة ، وهو ينتزع مسدسه الخاص ، ويصوبه إليه ،

ولكنه رأى مسدس المجرم مصوبًا إلى زجاج سيارته الأمامى ،

فصاح فى (عصام) :

— انحن .

ولم يكذب بكلمته حتى حطمت رصاصة المجرم زجاج

السيارة الأمامى ، ومزقت منه ، لترتطم بالزجاج الخلفى ،

وتعبره صانعة ثقبًا واسعًا ، فى حين أطلق العقيد (خيرى)

رصاصة مسدسه ، وأصاب مسدس المجرم ، وأطاح به بعيدا

فانحرفت سيارة المجرمين فى سرعة ، ومزقت من جوار سيارة العقيد

(خيرى) ، وابتعدت فى سرعة ، لتتحرف فى طريق جانبي ..

وضغط العقيد (خيرى) كمّاحة سيارته ، وأوقفها إلى



عقد العقيد (خيرى) حاجيه ، وهو يقول :
 — نعم يا (عصام) .. إنهم لا يتورعون عن ارتكاب أى شيء ..

جانب الطريق ، ونهض (عصام) ، وهو ينفذ عن ثيابه بقايا
 الزجاج المحطم ، ويهتف فى جزع :
 — إنها محاولة قتل أخرى .. إن هؤلاء الرجال لا يتورعون
 عن ارتكاب أى شيء ؛ لمنعنا من التوصل إلى الجانى .
 عقد العقيد (خيرى) حاجيه ، وهو يقول :
 — نعم يا (عصام) .. إنهم لا يتورعون عن ارتكاب أى
 شيء ، وهذا يؤكد أن الأمر أكثر خطورة مما نتصور .. أكثر
 بكثير ..

تشاءب (عصام) فى قوة ، وفرد ذراعيه على جانبى
 جسده ، ثم فرك عينيه بأصابعه ، وهو يجلس فى حجرة مكتب
 العقيد (خيرى) ، الذى ابتسم وهو يقول :
 — هل يداعبك النوم إلى هذا الحد ؟
 ابتسم (عصام) ، وهو يقول :
 — بل إنه يقاتلنى ، فلم أحظ بدقيقة واحدة منه منذ صباح
 أمس ، ولقد كانت الليلة الماضية مليئة بالأحداث
 والانفعالات .
 غمغم العقيد (خيرى) :

— والغموض .

أوماً (عصام) برأسه موافقاً ، ورأى جندياً يدخل إلى
الحجرة ، ويؤدى التحية للعقيد (خيرى) ، ويناوله ورقة
مطوية ، فأغلق عينيه ليرى جفنيه لحظات ، إلا أنه لم يلبث أن
فتحهما عن آخرهما ، حينما سمع العقيد (خيرى) يقول :
— ها هو ذا أخيراً تقرير رفع البصمات .

قفز (عصام) من مقعده ، وهو يهتف في لهفة :
— هل أضاف جديداً ؟

هزّ العقيد (خيرى) رأسه بلا معنى ، وهو يقول :
— ربّما ، فالتقرير يقول إن أحد الرجلين هو (رشوان
حامد) ، والثانى (فريد عبد الحق) ، وكل منهما مجرم سابق ،
قضى سنوات فى السجن ، بتهمة القتل والسرقة ، ولم يمكن
إثبات علاقة أيهما بأى من أمناء المخازن الثلاثة .

عاد (عصام) يرمى على مقعده فى يأس ، وهو يقول :
— إذن فما زلنا ندور فى حلقة مفرغة .

مطّ العقيد (خيرى) شفّته فى أسف ، وقال :

— أمّا بالنسبة للسيارة ، التى حاول راكباها قتلنا ، فهى
مسروقة ، ولقد أبلغ صاحبها عن سرقتها منذ خمسة أيام .

زفر (عصام) فى قوّة . وهو يغمغم فى سخط :

— يا لها من قضية !!

ساد الصمت طويلاً . قبل أن يقول العقيد (خيرى) :

— اسمعنى جيّداً يا (عصام) .. أريد منك ألاّ تبّلع
(عماد) و (غلا) عن دورى فى هذه القضية .

سأله (عصام) فى دهشة :

— لماذا ؟

ابتسم العقيد (خيرى) فى حرج . وغمغم فى صوت
خافت :

— لأننى سأتظاهر بعدم معرفة دورهم فى القضية ، فلقد
سبق لى أن منعتهم من إقحام أنفسهم فى مثل هذه القضايا و ...
وضحك فى خجل ، وهو يردف :

— وأنا واثق أن فريق (ع × ٢) وحده ، يمكنه أن يتوصّل
إلى حلّ قضية الحريق الغامض .

٨ — من الجانى ؟ ...

في ردهة فيلا أنيقة ، في أرقى أحياء القاهرة ، وقف
الرجلان ، اللذان حاولا قتل (عصام) والعقيد (خيرى) ،
يرتجفان ، أمام رجل في أواخر الخمسينات من عمره ، جلس
ينفث دخان سيجارته في غضب ، وهو ينقل بصره بينهما وبين
الرجل الجالس إلى جواره ، قبل أن يهتف في حنق :
— غيَّان .. أنما أغبى رجالى .. كيف عجزتما عن التخلص

من رجلين ؟

غمغم أحد الرجلين في ضيق :

— لقد كان أحدهما ضابط شرطة يا سيدي .

صاح الرجل في غضب :

— وهذا يعنى أن الأمر أشد خطورة .

تمتم الرجل الجالس إلى جواره في تؤثر :

— أعتقد أنك تبالغ كثيرا يا (شاكر) بك .

التفت إليه (شاكر) في غضب ، وهو يقول :

— أبالغ ؟! .. احتفظ بأرائك في أعماقك .

عقد الرجل حاجبيه في ضيق ، وهو يغمغم :

— إنك تزيد من تورطى أيضا .. لقد اتفقنا على أن يقتصر
الأمر على اختلاس الأقمشة ، ولم نشر مطلقا إلى القتل .

بدا وجه (شاكر) شديد الصرامة ، وهو يقول :

— اسمع يا رجل .. لقد كنت منذ عام واحد مجرد أمين
مخازن في شركة النيل ، أمّا الآن فأنت تملك نصف مليون جنيه
تقريبا .. هل أنت مستعد للتضحية بكل هذا المبلغ ، من أجل
حياة صحفى سخي ، يظن نفسه أكثر أهل الأرض عبقرية ؟
هتف الرجل في غضب :

— صحيح أنني أملك نصف مليون جنيه ، ولكننى
اختلفت من أجلك أقمشة تساوى خمسة ملايين ، على مدار
العام .

صاح (شاكر) في وجهه بصرامة :

— وسأقتل ملك النرويج نفسه في سبيل الحفاظ على
ما حصلت عليه .

ونفث دخان سيجارته ، وهو يستطرد في لهجة تنطوى على
التهديد :

— ثم إنك المسئول عن حريق المخازن ، ولو واصل ذلك
الصحفى تحقیقاته فسيكون مصيرك هو السجن .

هتف الرجل فى صرامة :

— لن يمكنهم إثبات تورطى أبدا .

لوح (شاكر) بكفه فى ازدراء ، وهو يقول فى حدة :

— لا تبالغ فى تفاؤلك يا صديقى .. لقد راجعت كل
تحقیقات هذا الصحفى السابقة ، التى يوقعها باسم
(ع × ٢) ، وهو لم يفشل فى قضية واحدة حتى الآن ، على
الرغم من أن كل المجرمين ، الذين ألقى بهم فى السجون ، كانوا
أكثر ذكاء منك .

هتف الرجل فى عصبية :

— اسمع يا (شاكر) بك .. لقد نفذت الحريق بوسيلة

معقدة ، بالغة الذكاء و ...

قاطع (شاكر) فى صرامة :

— لابد من قتل الصحفى ، أو نخسر كل اللعبة .

تردد الرجل لحظات ، ثم أطرق برأسه ، وغمغم فى

استسلام :

— إذا كان هذا ضروريا .

ابتسم (شاكر) فى ظفر ، وتألفت عيناه وهو يلتفت إلى
رجليه ، قائلاً :

— أريد أن أقرأ خبر مصرع هذا الصحفى ، فى صحف
الغد .

هتفت (غلا) فى حماس ، بعد أن استمعت مع شقيقها إلى
حديث (عصام) :

— رائع يا أستاذ (عصام) .. لقد قمت بعمل ممتاز ،
باستجوابك الرجال الثلاثة .

تضرع وجه (عصام) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

— إننى لا أستحق كل هذا الشاء ، فأنا لم أفعل شيئاً فى
الواقع .

قال (عماد) فى حماس مماثل :

— بل لقد فعلت الكثير يا أستاذ (عصام) ، فهذه
المعلومات الجديدة عظيمة الفائدة .

قلب (عصام) كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

— كيف ؟!.. إننى لا أجد فيها شيئاً جديداً ، سوى وضع
(فاروق) موضع الشبهات .

تبادل (عماد) و (غلا) ابتسامة غامضة ، جعلته
يستطرد في سخط :

— أليس كذلك ؟

أجابه (عماد) في لهجة مهذبة :

— بالطبع يا أستاذ (عصام) ، ولكننا مازلنا نحتاج إلى
معلومة أخرى .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

— لقد أدلى الرجال بكل ما لديهم

قالت (غلا) :

— هذا صحيح يا أستاذ (عصام) ، وأقوالهم تكفيها
تمامًا ، ولكننا نحتاج إلى إلقاء سؤالين محدودين على الخفير .

سألها (عصام) في دهشة :

— الخفير ؟! .. أى سؤالين ؟

أخبره (عماد) بالسؤالين ، فحدّق (عصام) في وجهه
بدهشة ، وهتف في حيرة :

— ولكن هذا يقلب الأمور كلها رأسًا على عقب
يا (عماد) .

ابتسمت (غلا) ، وهي تقول في رزانة بدت عجيبة مع
حجمها وسنّها الصغيرين :

— لا تتعجل النتائج يا أستاذ (عصام) .. ربّما جاءت
النتائج سلبية .

هزّ رأسه في دهشة ، ثم نهض قائلاً :

— لا بأس .. سألقى سؤاليكما على الخفير ، ولكنني أكاد
أوقن أن إجابته ستكون سلبية

تبادل (عماد) و (غلا) نظرتهما الغامضة مرة أخرى ،
ثم قال (عماد) في هدوء :

— سنرى .

أخذ (عصام) يقلّب الأمر في رأسه عشرات المرات ، وهو
يقطع الطريق على قدميه إلى حيث تم احتجاز الخفير ، وبدأ له
سؤالاً (عماد) و (غلا) بالغي الغرابة . حتى أنه غمغم في
خفوت :

— كيف يفكر هذان الصغيران ؟ .. أراهن أنهما قد فشلا
في استنتاجهما هذه المرة .

وشردت أفكاره طويلاً في محاولة دراسة الأمر ، وتحليل
الحقائق ، وترتيبها ، حتى سمع فجأة صوتًا من خلفه يقول :

— ما رأيك في نزهة صغيرة يا أستاذ (عصام) ؟
وقبل أن يلتفت إلى صاحب الصوت ، شعر بفوّهة مسدّس
باردة تلتصق بظهره ، وسمع الرجل يستطرد في خشونة :
— نزهة إجباريّة .



٩ — مطلوب للقتل ..

لم يدر (عصام) كيف استقبل الأمر هذه المرّة على نحو
مختلف ..

ربّما لأنه كان قد سئم المحاولات المتواصلة للتخلّص منه ..
وربّما لأنه كان يسير هذه المرّة في شارع مزدحم ، وفي
وضوح النهار ..

أو ربّما لأنه أصبح يضيق بالأمر كله ..

أو كل هذه العوامل مجتمعة ..

المهم أن (عصام) قد أدهش مهاجميه ، وأدهش نفسه
أيضاً ، حينما دار على عقبيه في سرعة وجرأة ، ودفع مسدّس
الرجل الأوّل بعيداً ، ثم لكم الثاني بكل ما يملك من قوّة في
فكه ، ثم رفع قدمه ، ودفعها في معدة الأوّل ، وانطلق يعدو عبر
الطريق ، وسط السيارات التي ارتفع صرير عجلاتها ،
وصيحات المارّة المندehشة المشدوّهة ..

ولم يكد يصل إلى الجانب الآخر من الطريق ، حتى بدأ



ولكن (عصام) ضم قبضته اليمنى ، وهوى بها على فك
الرجل ، الذى يمسك معصمه

الرجلان مطاردته ، واخترقا الطريق بدورهما ، ووصلا إلى
الجانب الآخر ، قبل أن يختفى (عصام) فى أقرب منحى ،
ووصلا عدوهما خلفه ، وهو يركض بأقصى ما يملك من سرعة ،
ولكن الطريق المزدهم أعاق اندفاعه أكثر من مرة ، حتى ارتطم
برجل ضخم ، وسقط كلاهما أرضا ..

ولم يكد (عصام) يعتدل ، حتى أمسك أحد الرجلين
المطاردين بمعصمه الأيسر ، وهتف الآخر وهو يلهث :
— لا تحاول .. إننا لن نتركك هذه المرة .

ولكن (عصام) ضم قبضته اليمنى ، وهوى بها على فك
الرجل ، الذى يمسك معصمه ، وسمع صوت أسنانه وهى
تتحطم ، وتختلط بتأوهاتة ، وهو يرخى أصابعه عن معصمه ،
فتجاهل كل الأحاسيس المؤلمة ، التى ولدها الاشتزاز فى
أعماقه ، ولكم الثانى فى معدته ..

وفى حركة سريعة أخرج الرجل الأول مسدسه ، وصاح فى
غضب :

— سأقتلك هذه المرة .. سأقتلك .

انطلقت صرخات المارة فى دعر ، وهم يركضون مبتعدين ،
والتصق (عصام) بالحائط ، واتسعت عيناه فى دعر ، وهو
يهتف :

— أيها المجرم .. أيها القاتل .

وارتجف جسده على صوت الرصاصة ..

شهق (عصام) في قوّة ، عندما اخترق صوت الرصاصة أذنيه ، ثم لم يلبث أن شعر بدهشة عارمة ، حينما صكّت مسامعه صرخة ألم ، دون أن تنطلق من بين شفّتيه ، أو يشعر بأثرها في أعماقه ، واتسعت عيناه في دهشة ، وهو يحّدق في يد الرجل ، الذي كان يصوّب إليه مسدّسه منذ لحظة واحدة ، وهي تدمى في غزارة ، وهو يحاول إيقاف النزيف في ألم ، ثم انتقل بصره إلى الطريق ، وزفر في قوّة عندما رأى ضابطي شرطة ، وثلاثة من أمناء الشرطة ، يُهرعون نحوه ، والدخان يتصاعد من فوهة مسدّس أحد الضابطين ، وهتف في حرارة :

— يا إلهي !! سأقيم تمثالاً لرجال الشرطة في رَذْهة منزلي .
صاح به أحد الضابطين في صرامة :

— ماذا يحدث هنا ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول في حماس :

— الذي حدث هو أنكم قد وصلتم في الوقت المناسب ،
لإنقاذ حياتي ، للمرّة الثانية .

حدّجه الضابط بنظرة دهشة ، قبل أن يهتف في غضب :
— ما هذا الهراء ؟

اتسعت ابتسامة (عصام) ، وهو يقول في ارتياح :
— زُوَيْدَكَ أيها الضابط ، سأخبرك بكل شيء ، ولكن عليك أن تتصل أولاً بالعقيد (خيرى) ، في المباحث الجنائية ، وقل له إننا قد عثرنا أخيراً على أول الخيط ، وسيقودنا هذا بلا ريب إلى حلّ لغز الحريق الغامض .

تطلّع العقيد (خيرى) إلى وجهي الرجلين ، اللذين يقفان في حجرته ، والأغلال تحيط بمعصميهما ، وقال في صرامة :
— أما زلتما تصرّان على التزام الصمت ؟ .. إنكما مُتَّهَمَان بالشروع في قتل .

أجاب أحد الرجلين في خشونة :

— ليس لدينا ما نقوله ..

حدّجه العقيد (خيرى) بنظرة قاسية ، وهو يقول في صرامة شديدة :

— للمرّة الأخيرة .. مَنْ أرسلكما لقتل الأستاذ
(عصام) ؟

أشاح الرجلان بوجهيهما ، دون أن ينبس أحدهما بيئت
شفة ، فقال (عصام) في ضيق :
— لا فائدة يا سيادة المقدم .. من الواضح أنهما يخشيان
الاعتراف .

جلس العقيد (خيرى) خلف مكتبه ، وشبك أصابع كفيه
أمام وجهه ، وهو يتطلع إلى الرجلين في صرامة ، ثم التفت إلى
(عصام) ، وسأله في هدوء :

— هل أبلغت (عماد) و (غلا) بما توصلنا إليه ؟
أجابه (عصام) في ضيق :

— نعم .

سأله العقيد (خيرى) في اهتمام :

— وهل توصلنا إلى شيء ما ؟

هز (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

— لست أدري .. كل ما فعلناه هو أن طلبنا منى إلقاء

سؤالين على الخفير .

اعتدل العقيد (خيرى) بحركة حادة ، وهو يقول :

— أى سؤالين ؟

أخبره (عصام) بالسؤالين ، فبدت الدهشة على وجه

العقيد (خيرى) ، وهو يتمم :

— يا إلهى !!

ثم عقد حاجبيه ، واستغرق في تفكير عميق طويلاً ، ثم زفر
وهو يقول :

— لا ريب أن لديهما مبرراً قوياً ، أو ..

وعاد إلى صمته مرة أخرى ، ثم التقط سماعة هاتفه في حركة
خاطفة ، وأدار رقماً ، ليقول في لهجة آمرة :

— اطلب من أمناء المخازن الثلاثة الحضور إلى مكنتى ، بعد
ساعة واحدة ، وأحضر لى الخفير المتهم .

ثم وضع السماعة ، والتفت إلى (عصام) ، قائلاً :

— اذهب لإحضار (عماد) و (غلا) .

سأله (عصام) في دهشة :

— ماذا تنوى أن تفعل يا سيادة العقيد ؟

أجابه في صرامة :

— سنواجه الجميع بعضهم ببعض يا (عصام) ، وسندير

العملية هذه المرة بقيادة فريق (ع × ٢) .

١٠ - المواجهة ..

بدا أمناء المخازن الثلاثة شديدي التوثر ، وهم ينقلون
أبصارهم بين العقيد (خيرى) ، و (عصام) ، و (عماد)
و (غلا) ، والمجرمين المكبلين بالأغلال ، ثم هتف (فاروق)
في عصبية :

— ألن ينتهى التحقيق فى هذه القضية أبدا ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

— اطمئن يا سيّد (فاروق) .. إنكم لن تغادروا هذه
الحجرة ، إلّا بعد أن تكون القضية قد انتهت .

زفر (حجّاج) ، وهو يقول :

— أتعشّم ذلك .

أمّا (نجيب) ، فقال فى توثر :

— هل تتهمون أحدنا بارتكاب الحادث ؟

لم يجبه العقيد (خيرى) ، فى حين تقدّم (عصام) نحوهم ،
وأشار إلى (عماد) و (غلا) ، قائلاً :

— أحب أن أقدم لكم أولاً (عماد) و (غلا) .. فريق
(ع × ٢) الحقيقى ، الذى يحلّ دوماً لغز كلّ القضايا ،
التي أنشر تحقيقاتها فى الجريدة ، بالتوقيع الذى يحمل اسمهما .
تطلّع إليهما الجميع فى استكثار ، وهتف (فاروق) فى
سخط :

— إذا كنّا هنا لمشاهدة موقف هزلى ، فأنا أفضل الذهاب
إلى السينما .

أجابه (عصام) فى سخرية :

— كما فعلت ليلة الحادث .. أليس كذلك ؟

احتقن وجه (فاروق) غضباً ، فى حين قال (نجيب) فى
توثر :

— فليكن .. سنوافق جميعاً على أن هذين الصبيين لهما

عبقريّة (شرلوك هولمز) ، ما علاقة ذلك بموقفنا نحن ؟

أشار العقيد (خيرى) إلى ولديه ، وهو يقول :

— لقد درس ولداى القضية كلها ، ونجحا فى التوصل إلى

الوسيلة التى تمّ بها إحداث الحريق .

ابتسم (فاروق) فى سخرية ، وهو يقول فى عصبية

وازدراء :

— هذان الصغيران !؟

تجاهل العقيد (خيرى) سخريته ، والتفت إلى (عماد)
و (غلا) ، قائلاً :

— أخبراه بما توصلتما إليه .

قال (عماد) فى هدوء :

— لقد تم ارتكاب الحادث בזكاء نادر ، وعبقريّة منظمّة ،
من المؤسف أن يستغلها صاحبها فى الجريمة ، بدلاً من أن يفيد بها
وطنه ...

لقد أحضر المجرم معه ، يوم الحادث ، زجاجة مملوءة
بالبنزين ، وسلّكاً كهربائياً وقطعة من الثلج ، وعندما حان
وقت الانصراف وضع قطعة الثلج على حافة مكتبه ، وفوقها
زجاجة البنزين ، ثم أوصل السلك الكهربائى بالتيار ، وأوصل
أحد طرفيه بباب المخزن ، وأوصل الطرف الآخر بالجدار
الملاصق للباب ، وعلى مسافة تسمح بتلامس الطرفين عند فتح
الباب بحركة حادّة ، ثم انصرف ..

وعندما ذابت قطعة الثلج مالت زجاجة البنزين ، حتى
وصل ميلها إلى درجة كبيرة ، فسقطت من فوق المكتب ،
وتحطّمت ، وسال ما بها من بنزين على الأرض ، وجذب صوت

تحطمها الخفير ، فأسرع إلى المخزن ، ولم يكد يدفع بابه حتى
تلامس طرفا السلك ، فنشأ من تلامسهما ماس كهربائى ،
أشعلت شرارته البنزين المنسكب ، فاندلعت النيران فجأة ، مما
أفزع الخفير ، ودفعه إلى الهرب ..

استمع إليه أمناء المخازن الثلاثة فى دهشة ، ثم هتف
(نجيب) :

— إنه تصوّر مغرق فى الخيال .

قالت (غلا) :

— بالعكس يا أستاذ (نجيب) .. إنه يفسّر ثلاثاً من
نقاط الغموض .. بقايا السلك ، وقطع الزجاج المحطّمة ،
واندلاع النيران المفاجئ .

صاح (فاروق) فى عصبية :

— هذا يبدو أشبه بالأفلام البوليسية ، ثم إنه لا يوجد دليل
واحد و

قاطعته العقيد (خيرى) فى صرامة :

— انتظر .. إن الحديث لم ينته بعد .

ثم أشار إلى رجل الشرطة ، الذى يقف عند الباب ، وهو
يستطرد :

— أحضر الخفير .

لم تكد تمضى لحظات حتى عاد الشرطى بالخفير ، الذى بدا مضطرباً متوتراً ، فالتفت العقيد (خيرى) إلى ولديه ، وقال :
— ألقيا عليه سؤاليكما .

تطلع الخفير فى دهشة إلى (عماد) و (غلا) ، وزادت دهشته حينما سأله (غلا) فى هدوء :

— هل اعتدت غسل أكواب الشاي الفارغة ، بعد انصراف أمناء المخازن ؟

أجابها الخفير فى خيرة :

— هذا صحيح يا بنيتى ..

سأله (عماد) :

— كم كوباً تغسل فى كل مرة ؟

زادت خيرة الخفير ، وهو يحيب :

— ثلاثة .

سأله (غلا) :

— وكم كوباً غسلت فى اليوم السابق للحادث ؟

هز الخفير رأسه فى دهشة ، وهو يقول :

— كوبين فقط يا بنيتى .. لماذا تسألين ؟

سأله (عماد) فى اهتمام :



ولم يكد يدفع بابه حتى تلامس طرفا السلك ، فنشأ من تلامسهما

— وفي يوم الحادث ، هل كان إناء حفظ السوائل الخاص بالأستاذ (حجاج) ممتسحاً كالعادة ببقايا الشاي ؟

عقد الخفير حاجبيه محاولاً التذكر ، ثم غمغم في حيرة :
— أظن أنه لم يكن ممتسحاً كالعادة .. كان أقل قليلاً .

هتف (حجاج) في توثر :

— ماذا تعنيان بهذه الأسئلة يا صغيري ؟

أجابه (عماد) في صرامة :

— انتظر يا أستاذ (حجاج) .

ثم التفت إلى الخفير يسأله :

— وهل غسلت الأكواب يوم الحادث ؟

أجابه الخفير في دهشة :

— لم تكن هناك أكواب ممتسخة يا ولدي .

عاد (حجاج) يهتف بمزيد من التوثر :

— ماذا تعنيان ؟

استدارت إليه (غلا) ، وهي تقول في جدّة :

— ألم تفهم بعد يا سيّد (حجاج) ؟ .. إننا نعني بأسئلتنا

أنك أنت المجرم .. أنت الذي أشعل الحريق الغامض يا أستاذ

(حجاج) .

١١ — المفاجأة ..

تراجع (حجاج) بحركة حادّة عنيفة ، كمن أصابته صاعقة ، أمام هذا الاتهام المباشر الصريح ، وحدّق زميلاه في وجهه بذهول ، في حين عقد المجرمان حاجبيهما ، وأشاحا بوجهيهما ، دون أن ينبس أحدهما بحرف واحد ، وهتف (حجاج) :

— ما هذا الهراء ؟ .. لقد قضيت ليلة الحادث في منزل صهرى ، والجميع يشهدون على ..
قاطعته (غلا) :

— لم تعد هناك قيمة لذلك الدليل يا أستاذ (حجاج) ، فالوسيلة التي ارتكب بها الحادث ، لا تحتاج إلى وجود الجاني في مسرح الجريمة ، ولقد كان من الذكاء أن تختار ليلة عيد ميلاد ابن شقيق زوجتك بالذات ، لتفد جريمتك ، حيث ستجد عشرات الشهود على بعدك عن مكان الجريمة ، خاصة بعد أن حطمت قفل الباب مسبقاً ، ليدرو وكان أحدهم اقتحم المخزن بالقوّة .

صاح (حجاج) في تؤثر :

— ولماذا أنا بالذات ؟ .. لم لا يكون (فاروق) أو
(نجيب) هو مرتكب الحادث ؟

أجابه (عماد) :

— سأخبرك أنا لماذا يا أستاذ (حجاج) .

ثم التفت إلى الجميع ، مستطردًا في هدوء :

— حينما تواجهنا قضية غامضة معقدة ، لا نولى اهتمامنا إلى
الأحداث الكبيرة فحسب ، بل نتجاوزها عادةً إلى النقاط
الصغيرة ، التي لا ينتبه إليها أحد ، ومنها نعثر على حل الغموض ،
ومفتاح القضية ، وفي قضية الحريق هذه كانت الأحداث
الكبيرة كلها تعقد الأمور ، أو تلقى الشبهة على (فاروق) أو
(نجيب) ، ولكن الأحداث الصغيرة كلها كانت تقود إلى
(حجاج) .

هتف (حجاج) في عصبية :

— هل ستستمعون إلى فلسفة صبي صغير ؟

تجاهل الجميع احتجاجه ، وواصلوا الاستماع إلى (عماد)
و (غلا) ، حيث التقطت الأخيرة خيط الحديث من
شقيقها ، وأكملت قائلة :

— لقد قال الخفير في أثناء استجوابه : إن السيد

(حجاج) أعطاه إناء الحفظ الخاص به عند انصرافه ، ليغسله
كالمعتاد ، في حين قال الأستاذ (فاروق) : إنه انصرف ؛ لأنه
كان يشعر بصداع ، ويحتاج إلى كوب من الشاي وقرص من
الأسبرين ، ولقد بدا لنا هذا عجيبا ، مادام زميله (حجاج)
قد اعتاد إحضار كمية من الشاي في إنائه يوميًا وكان هذا
التناقض يعنى واحدًا من اثنين ، إما أن الشاي الذي أحضره
الأستاذ (حجاج) قد نفذ ، وإما أنه لم يُحضّر شيئًا منه في
ذلك اليوم على الإطلاق ، وبترتيب الأحداث بدا لنا الاحتمال
الثاني هو الأرجح ، وبالذات ؛ لأنك آخر من غادر المخزن ،
وأنت الوحيد الذي كان يمكنه تحطيم قفله ، والتظاهر بإغلاقه ،
فلو فعل (فاروق) أو (نجيب) هذا ؛ لكشفت أنت الأمر
وأنت تغلق المخزن .

هتف (فاروق) في دهشة :

— يا إلهي !!.. هذا صحيح إنه لم يحضر الإناء في ذلك

اليوم !.. هذا ما أخبرنا به على الأقل !

أجابه (عماد) :

— وإنما أحضر حقيقته كالمعتاد ، ولقد كنا نحتاج إلى سؤال
الخفير حتى يمكن التيقن مما توصلنا إليه .

صاح (حجاج) في عصبية :

— التيقن من ماذا ؟ .. إنكما مجرد صبيّين !!

ابتسمت (غلا) ، وهي تقول :

— حسنا يا أستاذ (حجاج) .. استمع إذن إلى

ما سيقوله الصبيّان .

وأكمل (عماد) قائلاً :

— في اليوم السابق للحادث ، وبعد أن تناولت مع زميليك

أقداح الشاي ، عمدت إلى إخفاء بقايا قدح الشاي الخاص بك

في مكتبك ، وفي اليوم التالي أخبرت زميليك أنك لم تحضر إثناء

الحفظ كالمعتاد ، ولكنك كنت قد أحضرته في حقيبتك في الواقع ،

ولكنه لم يكن يحوى شايًا ، بل قطعًا من الثلج ، داخل كيس

أسطواني ، وبعد انصراف زميليك أسرعت تعدّ السلك

الكهربي ، ثم أخرجت قطع الثلج من الإناء ، الذي حافظ عليه

في حالة التجمد بحكم طبيعته ، ووضعتها على طرف مكتبك ،

وفوقها زجاجة البنزين ، التي أحضرتها في حقيبتك خفية ، ثم

أخرجت كوب الشاي ، الذي تحتفظ به من اليوم السابق ،

وسكبت بقاياها في إناء الحفظ ، وأعطيته للخفير ، الذي قام

بغسله كالمعتاد ، دون أن ينتبه — حينئذ — إلى قلة محتوياته من

بقايا الشاي ، وبعدها انصرفت إلى منزلك ، وذهبت لحضور

حفل عيد ميلاد ابن شقيق زوجتك ، وأنت مطمئن إلى أن الخطة

ستسير كما يرام ، وهذا ما حدث بالفعل ، وبعد ذلك حاولت

أن تتخلص من الأستاذ (عصام) ، حينما بدأ يستجوب أمناء

المخازن ، وتعمّدت إلقاء الشبهات على (فاروق) و (نجيب)

حينما كشفت أنه قد نجا ، ولكن أسلوبك في ذلك لم يكن بنفس

البراعة ، فمحاولتك لتوريطه أعطتنا دليل براءته .

ضحكت (غلا) ، وهي تكمل قائلة :

— هذا صحيح ، فلو أنه مثقل بالديون حقًا ، فكيف تأتي

له اختلاس الملايين ؟ .. لو أنه يفعل ذلك منذ عام — كما قلت

أنت — ما كان مثقلًا بالديون الآن ، بل لأصبح في بحبوحة من

العيش .

تراجع (حجاج) في ذعر ، وهو يلوح بذراعيه ، هاتفاً :

— إنها قصة بلا دليل .. لن يمكنكم إثبات حرف واحد من

كل هذا .. إنه محض استنتاج فحسب ، ولن يقنع أي قاض ، أو

وكيل نيابة ، باستنتاج صبيّين .

أجابه العقيد (خيرى) في هدوء :

— إنها مسألة وقت فحسب يا (حجاج) ، فسنكشف

تحريراتنا حولك ، وسننبش موضع كل خطوة خطوتها ،
ونستجوب كل من له علاقة بك ، ولن يطول الوقت حتى نجد
دليلاً يقودنا إلى أول الخيط ، الذي سيلتف حول عنقك في
النهاية .

شُحِب وجه (حجاج) ، حتى بدا في عيني (عصام)
صالحاً للإعلان عن مساحيق الغسيل الصناعية ، وهو ينقل
عينيه الزائغتين بين الحاضرين ، ويتراجع مرتعداً ، في حين أردف
العقيد (خيرى) بنفس الهدوء :

— أضف إلى ذلك أن عدم تعاونك سيزيد من قسوة
عقوبتك ، ثم إنك ستتهم بالشروع في قتل (عصام) أيضاً ،
وبإضافة هذه التهمة إلى تهمتي الاختلاس والحرق ، لن تقل
عقوبتك عن ..

قاطعه (حجاج) ، وهو يلوح بذراعيه ، ويهتف في دعر :
— كلاً .. لقد كنت أرفض قتله .. كل ما طلبته هو رشوته
فحسب ، أما القتل فلم ..

بتر عبارته فجأة ، وازداد شحوبه إلى درجة مفزعة ، حينما
أدرك أنه قد أوقع بنفسه ، ومنحهم اعترافاً ضمنيّاً بجريمته ،



بتر عبارته فجأة ، وازداد شحوبه إلى درجة مفزعة ، حينما
أدرك أنه قد أوقع بنفسه ، ومنحهم اعترافاً ضمنيّاً بجريمته ..

فدارت عيناه في محجريهما ، وانهار فوق أقرب المقاعد إليه ، وهو
يغمغم في شحوب :

— لقد كنت غيباً .. لقد أغراى المال .

ثم رفع عينيه إلى العقيد (خيرى) في ضراعة ، وهو
يستطرد :

— هل يقلل اعترافى من العقوبة ؟

أجابه العقيد (خيرى) في برود :

— بعض الشيء .

أطرق (حجاج) برأسه ، وانهمرت دموع الندم والمذلة
من عينيه ، وهو يغمغم في شحوب وخفوت :

— سأعترف .. سأخبركم بكل شيء .

* * *



١٢ — السقوط ..

تطلّع (شاكر) بك إلى (عصام) في صرامة ، ونفث دخان
سيجارته في بطء ، قبل أن يقول في برود :

— آسف يا أستاذ (عصام) .. إننى أكره الأحاديث
الصحفية .

ابتسم (عصام) في سخرية ، وهو يقول :

— ولكن هذا الحديث بالغ الأهمية ، يا (شاكر) بك ،
فأنت الآن صاحب أكبر مصنع نسيج خاص في مصر ، وسيهم
القراء معرفة سر نجاحك .

مطأً (شاكر) شففيه ، وهو يقول في برود :

— إننى أفضل الاحتفاظ بهذا السرّ لنفسى .

هتف (عصام) في حماس مفتعل :

— مستحيل يا (شاكر) بك .. إن مصر كلها تتوق لمعرفة
السرّ .

صاح (شاكر) في غضب :

— أَيْ سِرَّ ؟ .. إِنِّي رَجُلُ أَعْمَالٍ عَادِي .

رفع (عصام) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول في سخرية :

— رَجُلُ أَعْمَالٍ عَادِي ؟ ! .. لَا تَتَوَاضَعُ هَكَذَا يَا (شَاكِر) بَكَ .. إِنَّكَ رَجُلُ أَعْمَالٍ غَيْرِ تَقْلِيدِي .. رَجُلُ أَعْمَالٍ خَطِيرٍ ، كَمَا تَتَوَكَّدُ تَحْرِيَاتِنَا .

ارتجفت السيجارة بين أصابع (شَاكِر) ، وهو يغمغم في ارتجاف :

— تَحْرِيَاتِكُمْ ؟ ! .. أَيْةَ تَحْرِيَاتٍ ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— تَحْرِيَاتِنَا الْخَاصَّةُ يَا (شَاكِر) بَكَ .. أَرَاهَنكَ أَنَّهَا سَتَدَهْشُكَ .

وعقد حاجبيه ، وكأنما يحاول التذكُّر ، وهو يستطرد :

— إِنْ تَحْرِيَاتِنَا تَقُولُ إِنَّكَ مِنْذُ عَامٍ وَاحِدٍ كُنْتَ مَجْرَّدُ تَاجِرٍ أَقْمِشَةٍ وَمَلَابِسٍ ، ثُمَّ تَعَرَّفْتَ (حَجَّاج) ، أَمِينُ مَخَازِنِ شَرَكَةِ النَّيْلِ لِلْمَنْسُوجَاتِ ، وَبِمَعَاوَنَتِهِ اخْتَلَسْتَ عَلَى مَدَارِ الْعَامِ ، كَمِيَّاتٍ ضَخْمَةٍ مِنَ الْأَقْمِشَةِ ، تَقْدَّرُ حَتَّى الْآنَ بِخَمْسَةِ مِلْيَيْنِ جَنِيهِ تَقْرِيْبًا ، وَعِنْدَمَا حَانَ مَوْعِدُ الْجَرْدِ السَّنَوِيِّ ، قَرَّرْنَا ضَرُورَةَ

حرق المخازن ، حَتَّى يَسْتَحِيلَ إِثْبَاتُ الْاِخْتِلَاسِ ، وَحِينَئِذٍ وَجَدْتُمَانِي فِي طَرِيقِكُمَا ، حَاوِلْتُمَا التَّخْلُصَ مِنِّي ، حَتَّى لَا أَكْشِفَ أَمْرَكُمْ .

حاول (شَاكِر) أَنْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَ سِيَجَارَتِهِ ، وَلَكِنْ جَفَافَ حَلْقِهِ جَعَلَ دُخَانُهَا أَشْبَهَ بِعَمُودٍ مِنَ النَّارِ يَنْفِذُ إِلَى رُئْيِيهِ ، فَسَعَلَ فِي قُوَّةٍ ، وَاسْتَمَرَ سَعَالُهُ عِدَّةَ دَقَائِقٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْمِغِمَ فِي صَوْتٍ مُخْتَقٍ وَمَتَوَثِّرٍ :

— كَمْ تَرِيدُ يَا أَسْتَاذَ (عَصَام) ؟

ابتسم (عصام) فِي خَبْثٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— هَلْ تَعْرِضُ عَلَيَّ رَشْوَةً ؟

أَجَابَهُ (شَاكِر) فِي انْفِعَالٍ :

— يُمْكِنُكَ اعْتِبَارُهَا كَذَلِكَ .

تَظَاهَرَ (عَصَام) بِالتَّفَكُّيرِ ، ثُمَّ قَالَ فِي هَدُوءٍ :

— مَا رَأَيْكَ فِي خَمْسَةِ مِلْيَيْنِ جَنِيهِ ؟

عَقَدَ (شَاكِر) حَاجِبِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي تَوَثُّرٍ :

— لَا تَسْخَرُ مِنِّي يَا أَسْتَاذَ (عَصَام) .

ثُمَّ مَالَ نَحْوَهُ مُسْتَطَرِّدًا :

— سَأُدْفَعُ لَكَ مِائَةَ أَلْفِ جَنِيهِ ، فِي مُقَابِلِ نَسِيَانِ كُلِّ

مَا لَدَيْكَ مِنْ مَعْلُومَاتٍ تَمَاقًا .

أطلق (عصام) ضحكة ساخرة ، أثارت أعصاب (شاكر) ،
فصاح في غضب :

— مائة وخمسون ألفاً .. لن أدفع قرشاً واحداً فوق ذلك .

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول في هدوء :

— ما رأيك بعشر سنوات على الأقل ، خلف قُضبانِ
السَّجْن ؟

اتَّسعت عينا (شاكر) في دُعر ، وهو يهتف :

— ماذا ؟

أجابه (عصام) في هدوء :

— بالنسبة لجريمتي السرقة وإشعال الحريق فقط بالطبع ،
ولكننا سنضيف إلى ذلك جريمة الشروع في القتل ، فترتفع
العقوبة إلى ..

قاطعه (شاكر) فجأة في صرامة :

— أنت غبي .

وبحركة مباغتة ، صَوَّب إليه مسدساً ، وهو يستطرد في
خَنق :

— لقد حاولت إبعادك عن الطريق في سلام ، ولكنك
لا تستحق سوى القتل .

أدهشه أن ابتسم (عصام) ، وهو يقول في هدوء :

— إذن فأنت تنوى إضافة جريمة القتل ، إلى جرائمك

الأخرى .. كم يؤسفني ذلك يا (شاكر) ، إنك ستبدو قبيحاً
وأنت تتدلى من حبل المشنقة .

صاح (شاكر) في غضب :

— أنت وقع ، وتستحق القتل .. خذ ..

وأطلق ثلاث رصاصات متتابعة على قلب (عصام) ..

لا يمكن وصف ما أصاب (شاكر) ، بعد أن أطلق
رصاصاته الثلاث ، سوى بالذهول ، فقد اتَّسعت عيناه
وجحظتا ، حتى كادتتا تقفزانا من محجريهما ، وسقطت فكه
السفلى حتى بدت ملامحه أقرب إلى البلاهة ، وهو يحدق في وجه
(عصام) ، الذي أطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

— إنه اعتراف واضح صريح يا (شاكر) بك .. ولقد

أوقعت بنفسك ؛ لأنك لم تحتفظ بمسدسك في جيبك طوال
الوقت ، فلقد تسلَّلت أنا إلى حجرة مكتبك منذ ساعة واحدة ،
وأبدلت رصاصاته بأخرى زائفة ، فقد كنت أتوقَّع إقدامك على
ذلك .

تراجع (شاكر) في دعر ، وهو يقول :

— اسمع يا أستاذ (عصام) .. سأدفع لك ربع مليون جنيه .. بل نصف مليون .

مط (عصام) شفتيه في أسف ، وهو يقول في هدوء :

— لا فائدة يا (شاكر) .. لقد انتهى كل شيء .

ثم مال نحوه ، وهو يُردف في سخرية :

— إننى لم آت هنا وُخدى .. لقد أقي معى العقيد

(خيري) ، من المباحث الجنائية ، وعدد من ضباط ورجال

الشرطة ، وهم ينتظرونك الآن بالخارج .

امتقع وجه (شاكر) ، وألقى جسده النهار على أقرب

مقعد ، ودفن وجهه بين كفتيه ، وهو يهتف في صوت باك :

— مستحيل !! لقد ضاع كل شيء .. انتهى كل شيء .

تنهَّد (عصام) في ارتياح ، وقال في هدوء :

— نعم يا (شاكر) .. لقد انتهى كل شيء ، وسيكون

عليك أن تحتمل كل السنوات القادمة في السجن ، وكل ما أريده

هو أن تتذكر في كل يوم تقضيه خلف القضبان كلمة واحدة ..

أو بمعنى أدق رمزا واحدا .

وابتسم ، وهو يستطرد في صرامة :

— تذكر رمز (ع × ٢) .. إنه الفريق الذى أوقع بك .



لا يمكن وصف ما أصاب (شاكر) ، بعد أن أطلق رصاصاته

الثلاث ، سوى بالذهول ..

١٣ — الختام ..

استقبل صحفيو قسم الحوادث زميلهم (عصام) في
ترحاب وسعادة ، وهو يدلف إلى القسم في اليوم التالي ،
وصافحه رئيس القسم في حرارة ، وهو يتسم قائلا :
— تحقيق رائع يا (عصام) .. لقد تفوقت على نفسك
هذه المرة .

ابتسم (عصام) في خجل ، وهو يغمغم :
— إننى لا أستحق الشاء في الواقع ، ف (عماد)
و (غلا) هما ..

قاطعته ضحكات صاحبة مرحلة ، ورئت رئيس القسم على
كتفه ، وهو يقول :

— كفى يا (عصام) .. إن تواضعك هذا يثير دهشتى ..
إن أحدا لم يَغْدُ يصدّق قصة (عماد) و (غلا) هذه ..
لا ترددها في كل مرة ، حتى لا يسأمها الجميع .
ضحك (عصام) ، وهو يقول :

— لا بأس يا سيدى .. لن أردّد هذه القصة مرة أخرى ،
ولكننى سأحفظ بالتوقيع .

هتف الرئيس في حماس :

— بالطبع .. لقد أصبحت مصر كلها تنتظر تحقيقات
(ع × ٢) في شغف .

وعاد يَشُدُّ على يده ، مستطرّدا :

— أهنتك مرة (أخرى) يا (عصام) .

أوماً (عصام) برأسه في صمت ، واتجه إلى مكتبه ، ولم
يكذ يجلس خلفه حتى قال عامل المكتب له :

— هناك رجلان يطلبان مقابلتك يا أستاذ (عصام) .

أجابه (عصام) في هدوء :

— دعهما يأتيان .

ولكنه لم يستطع إخفاء دهشته ، حينما رأى (فاروق)
و (نجيب) يتجّهان إلى مكتبه ، ويجلسان أمامه في حَرَج ،
فابتسم في ارتباك ، وهو يغمغم :

— مرحبًا بكما .

تبادل الاثنان نظرة مرتبكة ، ثم غمغم (فاروق) في
خجل :

— أستاذ (عصام) ، إننا ندين لك بالشكر ..
والاعتذار .

وقال (نجيب) :

— الشكر لأنك أنقذتنا من الاتهام والشكوك ، أنت
والصغيران (عماد) و (علا) .

ابتسم (عصام) ، وهو يسألهما في هدوء :
— وماذا عن الاعتذار ؟

تبادلا نظرة خجلى ، ثم قال (نجيب) في حرج :
— في الواقع يا أستاذ (عصام) .. لقد كنا نضمر لك
السوء و ..

ارتبك وتلعثم ، وضاعت الكلمات بين شفثيه ، فقال
(فاروق) :

— انتظر .. سأخبره أنا .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا :

— عندما غادرت أنت والعقيد (خيرى) منزل
(نجيب) ، كان يشعر بالغضب لاثهامك له ولى بارتكاب
الحادث ، فاتصل بى فور انصرافكما ، ووجدنى أمائله غضبًا ،
ودفعنا الغضب إلى التفكير فى التعرض لك ، وتلقينك درسًا
يمنعك من التدخل فى شئوننا .

رفع (عصام) حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :
— يا إلهى !!

خفض الاثنان وجهيهما فى خجل ، وغمغم (فاروق) فى حياء :
— لذا فنحن نعتذر .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— شكرًا لكما .. لقد كانت أيامًا عصيبة .. أليس كذلك ؟
أومأ كل منهما برأسه موافقًا ، ثم نهضا ليصافحاه مرة
أخرى ، وقال (نجيب) :
— سننصرف الآن يا أستاذ (عصام) ، فما زالت أمامنا
مهمة أخرى .

سألهما ، وهو يتسهم :

— هل ستعودان إلى عملكما ؟

هزأ رأسيهما نفيا ، وابتسم (نجيب) وهو يقول :

— بل سنذهب لنقدم الشكر أولاً لأصحاب الفضل الحقيقى .
وخرجت الكلمات من بين شفثى (فاروق) مفعمة

بالإعجاب والانفعال ، وهو يقول :

— نعم .. لفريق (ع × ٢) ..

[تمت بحمد الله]

